نُقُوشٌ مِنْ وَحْيِ الأَدَب

أَفْضَلُ القِصَص والقَصَائِد الفَائزة بالقائمة الممتازة

إشراف عمر لوريكي

مراجعة وتنقيح : عمر لوريكي

تصميم الغلاف: الحسين الجنوي

الترقيم الدولي:

ISBN : 978-9954-746-41-7

D épot légal : 2019MO2200

شُكْرٌ وَتَقْدِير

تتقدم جمعية مواهب المستقبل بالشكر الجزيل والتقديم المفعم بالحب والإخاء لكل من دعمها وساندها لإنجاح الملتقى الأدبي العربي الأول بأيت اعميرة، وتخص بالذكر كل من:

جماعة أيت اعميرة

المجلس الاقليمي لاشتوكة أيت باها

وزارة الثقافة والاتصال، المديرية الجهوية لسوس ماسة

منتدى الأدب لمبدعي الجنوب، فرع أيت ملول

صالون ألعيوض الثقافي

مركز سوس ماسة للتنمية الثقافية

كما تغتنم الفرصة لشكر لجنة التحكيم والتي أبانت عن حنكة وجدية قل لها نظير وهم:

الشاعر مولاي الحسن الحسيني

الشاعر حكم حمدان

الدكتور عبد الرحيم مراشدة

الدكتورة فاطمة بولحوش

الشاعرة سميرة عمر لقديم

الشاعرة ريتا عوده

تمهيد

نبذة عن المسابقة والجهة المنظمة وأعضاء لجنة التحكيم

أعلنت جمعية مواهب المستقبل بتنسيق مع وزارة الثّقافة والاتّصال، المديرية الجهوية لسوس ماسة والمجلس الجماعي لأيت اعميرة ومركز سوس ماسة للتنمية الثقافية ومنتدى الأدب لمبدعي الجنوب، فرع أيت ملول وصالون ألعيوض الثقافي، في شخص الشّاعر الإعلامي عمر لوريكي، المشرف العام على المسابقة الأدبية العربية الكبرى في الشّعر والقصّة، عن تنظيم مسابقة أدبية عربية كبرى تحتضنها لجنة عربية دولية لإدارتها وتحكيمها.

وقد ضمّت اللجنة العربية عميد البحث العلمي والدراسات العليا بجامعة عجلون بالأردن، الدكتور في النقد الحديث عبد الرحيم عزام مراشدة، والشاعر الفحل مولاي الحسن الحسيني والدكتورة الأكاديمية فاطمة بولحوش والشاعر حكم حمدان والشاعرة الفلسطينية ريته عوده والشاعرة الناقدة سميرة عمر لقديم.

وهكذا كانت المسابقة الأدبية فرصة ثمينة لجميع المبدعين الشّباب على امتداد الوطن العربي الكبير للتباري بكل حيادية حول لقب الجائزة وقيمتها المادية وكذا جائزة نشر الإبداع بكتاب ورقي والمشاركة بأمسية بهاء الشّعر.

وقد رصدت جمعية مواهب المستقبل بأيت اعميرة جوائز مادية ومعنوية مهمة للمتميزين والمتميزات، كما منحت جائزة قيمة لطبع المشاركات المتأهلة للقائمة القصيرة الممتازة، ضمن كتاب الجائزة الذي حُدد عنوانه ب: نقوش من وحي الأدب، حيث ضمت القائمة القصيرة للمسابقة في صنف القصيدة الفصيحة: أربع عشرة مشاركة ونفس العدد في صنف القصة القصيرة، بينما أضافت اللجنة أربع رتب ضمن جائزة التنويه وثلاث رتب ضمن مرتبة التشجيع.

ويشار إلى أن بريد المسابقة استقبل ما يزيد عن مئات المشاركات، وهذا يدل على حب الشباب العربي للأدب والشعر وعلى أن الإبداع بخير. أما هدف المسابقة فهو التنقيب عن المبدعين المهمشين وتسليط الأضواء عليهم وتعريفهم للجمهور الأدبي وصقل موهبتهم في الكتابة.

وقد أعلنت جمعية مواهب المستقبل عن المسابقة تشجيعا للإبداع الأدبي ودعما للمواهب الشابة الحيوية الفتية، وبحثا عن الأنامل الذّهبية الراقية، ورفعا لمكانة الأدب والشعر بالمغرب والعالم العربي، بدعم من المندوبية الجهوية لوزارة الثقافة بسوس ماسة والمجلس الجماعي لأيت اعميرة وبمساندة منتدى الأدب لمبدعي الجنوب، فرع أيت ملول وصالون ألعيوض الثقافي ومركز سوس ماسة للتنمية.

وأشرف على إدارة المسابقة الشّاعر والإعلامي الباحث عمر لوريكي وثلة من أهم النّقاد على الساحة الأدبية المغربية والعربية، أما شروط وضوابط المسابقة فكانت كالتالي:

مسابقة أفضل قصيدة فصيحة:

أن تكون القصيدة فصيحة من 20 إلى 30 بيتا شعريا أو تفعيلة من 30 سطرا.

مسابقة أفضل نص قصصي:

ألا تتجاوز القصة القصيرة أربع صفحات.

أن تكون المشاركات خالية من التجريح أو التشهير ومن الأخطاء الإملائية أو النحوية.

أن يكون سن المشارك(ة) بين 20 سنة و45.

يحق لكل الأدباء والمبدعين العرب التقدم للجائزة.

لا تقبل النصوص الفائزة بمسابقة أخرى.

يحق لكل الأدباء والمبدعين العرب التقدم للجائزة.

الجوائز:

1300 درهم للمرتبة الأولى في الشعر والقصة بالإضافة لكتاب الجائزة الورقي والذي سيتضمن المراتب الثلاثة الأولى الفائزة والقائمة القصيرة الممتازة وشهادة تقديرية ودرع تكريمي.

المرتبة الثانية والثالثة: كتاب الجائزة والذي سيتضمن المراتب الثلاثة الأولى الفائزة والقائمة القصيرة الممتازة وشهادة تقديرية ودرع تكريمي.

ترسل المشاركات مرفوقة بنبذة عن المشارك وصورة في ملف وورد للبريد الالكتروني: mawahibalmoustakbal@gmail.com

وكان آخر موعد لتلقي المشاركات: 02 أبريل 2019

وبدءا من انتهاء تاريخ استلام المشاركات بالمسابقة تمّ الإعلان عن قائمة طويلة في الشعر والقصة، حيث ضمت القائمة الطويلة في الشعر خمسا وعشرون مشاركة من الدول التالية: الإمارات العربية

المتحدة، اليمن(4)، المملكة العربية السعودية(2)، فلسطين، مصر (8)، سوريا(2)، ليبيا ثم المغرب(6)، أما القائمة الطويلة في القصة القصيرة فقد ضمت: أربعين مشاركة متميزة، وبعد الفرز والتعرف على بعض المشاركات المخالفة لضوابط المسابقة كانت المشاركات من الدول التالية:

الجزائر 3، سوريا 4، العراق 1، تونس 2، مصر 5، السودان 1، اليمن1، الأردن 1، المغرب 17.

ثم بعد استقبال تقييم اللجنة الفاضلة والمتكونة من: الشاعر الفحل مولاي الحسن والشاعر حكم حمدان والدكتور عبد الرحيم مراشدة والدكتورة فاطمة بولحوش والشاعرة سميرة عمر لقديم وعمر لوريكي تم حصر القائمة القصيرة الممتازة فيما يلي:

المسابقة الأدبية العربية الكبرى في الشّعر والقصّة،
الدورة الأولى

القائمة القصيرة الممتازة

صنف الشعر

1 حسين علي آل عمار، السعودية
2 سيد محمد عبد الرزاق، مصر
3 حسن بن عبده الصميلي، السعودية
4 زين العابدين الكنتاوي، المغرب
5 باسل عبد العالي، فلسطين
6 كريم أيت الحاج، المغرب
7 مصطفى قاسم عباس، سوريا
8 أحمد علي الفاخري، ليبيا
9 عبد الحميد الرجوي، اليمن
10 خالد عبد الله الحكيمي، اليمن
11 محمد سالم عبادة، مصر

جائزة التنويه صنف الشعر:
عادل بصيلة، المغرب
أحمد إبراهيم مكاوي، مصر
أمة الكريم نصار، اليمن

صنف القصة

1 بلقيس أحمد الكبسي، اليمن
2 بشرى الشرع، المغرب
3 سامية غشير، الجزائر
4 سفيان البراق، المغرب
5 محمد بدازي، المغرب
6 عبد الهادي شردال، المغرب
7 محمد خضر، مصر
8 عبد الجليل ولد حموية، المغرب
9 سعيد موزون، المغرب
10 هشام أجران، المغرب
11 فراس ميهوب، سوريا
12 رشا مصطفى، مصر
13 عبد الرحمان زورى، المغرب
14 عثمان الهاسوتة، المغرب

جائزة التنويه صنف القصة
حسن كريم، المغرب
أحمد إدريس أحمد، مصر
يونس شفيق، المغرب
سوار الغابري

إمضاء الجهة المنظمة:

وقد حازت القائمتان القصيرتان الممتازتان في الشعر والقصة وكذا جائزة التنويه على جائزة الطبع.

وبعد مداولات عديدة أفضت النتائج لانتقاء الشاعر: حسين علي آل عمار من المملكة العربية السعودية بمعدل 16.45 على 20 فائزا بجائزة أفضل قصيدة فصيحة عن قصيدته: "سلالة أنجبها الوقت" و الأديبة بلقيس الكبسي من اليمن فائزة بأفضل قصة قصيرة عن قصتها: "رمس سهاد".

بينما كانت الرتب الأخرى على الشكل التالي:

المسابقة الأدبية العربية الكبرى في الشّعر والقصّة

الدورة الأولى

النتائج النهائية صنف القصيدة الفصيحة

القصيدة	المحكم 1	المحكم 2	المحكم 3	المحكم 4	المحكم 5	المحكم 6	المجموع	المعدل على 20	الرتب	أسماء الشعراء
سلالة انجبها الوقت	16	19	16	18	15	14.75	98.75	16.45	1	حسين علي آل عمار السعودية
لسمائه الأخرى يعود	19.5	19	15	19.5	10	13	96	16	2	سيد محمد عبد الرزاق مصر
تلاوات من لوح الارض	16	18.5	16.5	17	15	12	95	15.83	3	حسن بن عبده الصميلي السعودية
ترنمة صباحية لدون كيشوا	15.5	18.5	14.5	16	18	12	94.5	15.75	4	زين العابدين الكنتاوي المغرب
الزعتر الأخير	16.5	17	15	16	15	13	92.5	15.41	5	باسل عبد العالي فلسطين
صورة اخرى للماء	15	19	13.5	15	15	13	90.5	15.08	6	كريم أيت الحاج المغرب
قصيدة الشاعر	14	17	15	11	19	13	89	14.83	7	مصطفى قاسم عباس سوريا
مواويل للراحلين	16	17	14	14.5	10	13	84.5	14.08	8	أحمد علي الفاخري ليبيا
ارح ركابك	12	20/14	13	13	19	13	84	14	9	عبد الحميد الرجوي اليمن
يم بملح الموج	11	16	14	11	16	15.5	83.5	13.91	10	خالد عبد الله الحكيمي اليمن
عن شعب الحجر الأسعد	11	17	13	12	15	13	81	13.5	11	محمد سالم عبادة مصر
الناطور	14	13	11	13	15	14.5	80.5	13.41	12	عادل بصيلة
مراودة الليل	10.5	16	13.5	10	16	13	79	13.16	13	أحمد إبراهيم مكاوي مصر
حين يتسرب القمر	7	17	13	10	15	11	73	12.16	14	أمة الكريم نصار اليمن

إمضاء الجهة المنظمة:

القائمة القصيرة الممتازة:

صنف القصيدة الفصيحة:

سلالةٌ أنجبها الوقت

حسين آل عمار (السعودية)

لا تختبرْ كَرْمًا على أنخابهِ
ودعْ المجازَ
يصبُّ من ميزابهِ
وإذا انتهتَ لمارقٍ في الضوءِ
تخدعهُ الجهاتُ
تعيثُ في أهدابهِ
أخبرهُ أن الرملَ صاحبُ حجةٍ
والماءُ أصلُ الماءِ
من أصلابهِ!
هو أنتَ من عقَّ المسافةَ
ماكثًا
فتشت عن وطنٍ يوزع ما بهِ
وتوضأتْ بكَ موجةٌ منسيةٌ في البحرِ
لم تكبرْ على أسرابهِ
حتى اختبأتَ،
ثيابُك ارتسمتْكَ كي تخفيكَ
واشتبكَ الندى بضبابهِ
كنت اعتمدتَ ضحالةَ الأيامِ
تمطرُ تارةً
وتشحُّ بعد سحابهِ
وشربتَ وهمكَ غارقًا
لمّا تلح للموتِ
مذ علِقَ الوجودُ ببابهِ
مسّدتَ أوجاعَ الكرى

وغفوتَ مضطربًا
فلم تولدْ على أترابهِ*
وشممتَ دمعكَ
في شقوقِ الضوءِ،
كنت تمجُ بالأوجاعِ صوتَ خطابهِ
تبكيكَ حنجرةُ الظلامِ
وطالمَا
أغراكَ من ذا الليلِ بعضُ عتابِهِ
للحلمِ
إيمانان
لا كفرٌ هنا
فابحث تجد ما انسابَ من إسهابهِ
وإذا اشتعلتَ
فقل: ثقابي لم يزل
متوقدًا في ترهات مصابهِ!

وإذا انطفأتَ
فلا تقل شيئًا
فبعضُ الصمتِ أشهى من أنينِ عذابِهِ
روعّتَ أسئلةَ الفصولِ
ولم يزل
يكسوك هذا الوقتُ من أثوابهِ
لا أنت أغلقْتَ الحقيقةَ كلها
لا الزيفُ
جاز العمرَ من أعتابهِ
وبقيتَ تجترحُ الخطى في الدربِ
ترفلُ بالسنا
وتموتُ ملءَ غيابهِ

ولأن فلسفةَ النقيضِ تَشَيَّأَتْ عدمًا
توالى الخلقُ في تنحابهِ
لكأن من نَسَبَ الأنين لـ(ميركوري)
أودى جيوشَ (الرومِ) خلف عقابهِ
وأتى على جيشِ التتارِ
محمحمًا بالنصرِ يستشري على أنسابهِ
هي للتصوفِ تارةً،
للكفرِ أخرى،
ثم يرتبك المدى بسرابهِ
هذي (نساؤك في الحديقةِ)
ملّها (أوسكا) فسال اللونُ من أعصابهِ
ولأن (شوبان) اجتبتهُ دموعُه
صار (الرومانسيّون) من أصحابهِ!
حشّدْكَ،
خذْكَ،
توسدْ الأبدَ البعيدَ
وعث على اسمِ المجدِ في ألقابهِ
فإذا تورَّطَتْ الحشودُ بظلّها
ورأتهُ يستلقي بكثِّ خرابِهِ
سالت على الكراسِ آخرُ شهقةٍ
كانت تواري الدمعَ عن أكوابهِ
فالوقتُ منعدمُ السلالةِ
إنما
ظهرُ المكانُ يغصُّ من إنجابهِ

لسمائه الأخرى يعود

سيد محمد عبد الرزاق (مصر)

الله ليكن نور" تكوين 2-3 " وإذ كان روح الله يرفرف على سطح المياه، أمر

هــذا الفَتَــى العُلْــويُّ عــانقَ طِينَــهْ
مُــذْ أنبتَــتْ أوجاعُــهُ يقطِينَــهْ
يمشِــي علــى مــاءِ النبــوءَةِ، كلَّمَــا
لاحــتْ لــهُ نــارٌ أدارَ ســفينَهْ
ألقــاهُ شــكٌّ مَــا لشــاطِئِهِ الــذي
مِــن فلسَــفَاتِ الرَّمــلِ صــاغَ يقينَــهْ
عريــانَ، إلَّا مِــن حقيبــةِ حزنِــهِ
عبــرَ الغيــابَ مدينــةً فمدينــةْ
ومَضَــى يُقَطِّــرُ عمــرَهُ (نوســتَالْجِيا)
حتَّــى أراقَ مــن الحنــينِ وَتِينَــهْ
عينــاهُ ترجمــةٌ لأوَّلِ عــابِرٍ
هَرِمَــتْ خُطَــاهُ ولا تــزالُ ســجِينَهْ
لا حبــرَ يكتُبُهــا، فملمــحُ زُرقَــةٍ
يكفِــي لِينقُشَ فــي الغريــبِ حنينَــهْ
أيَّامُــهُ عَبَراتُــهُ، فكأنَّمَــا
مقــدارُ مــا يبكِــي يريــقُ ســنينَهْ
يهفــو إلــى الشــطآنُ تحمــلُ طينَــهُ
فيباشِــرُ البحــرُ القــديمُ عجينَــهْ
وتبــدِّلُ الأمــواجُ نكهــةَ دمعِــهِ
ويبتِّــلُ الملــحُ النبيــلُ أنينَــهْ
كانــتْ لــهُ امــرأةٌ تُحَلِّــلُ مــاءَهُ
لِتعيــدَ فــوقَ ضــلوعِها تكوينَــهْ
صــحراؤُها خــدعتْ خُطَــى قِدِّيسِــهِ
حتَّــى تُعَمِّــدَ بــالهجير مَعِينَــهْ

ضَـــجِرٌ مـــن الأرضِـــيِّ يســـكُنُهُ، رأَى
فيهَـــا ســـماءً مـــا تَمَـــسُّ جبينَـــهْ
أهـدَى لهَـا الأسـماءَ، نفخـةَ روحِـهِ،
جنَّاتِـهِ، أضـلَاعَهُ، (جِبْرينَـ) ـــــــــهْ

وغَـــدَا تمزِّقـــهُ الجهـــاتُ، فـــلا يـــرَى
وطنًـــا ســـوى مَـــن أتقنـــتْ تلقينَـــهْ
والمـــاءُ يُـــدمِنُ الانعكـــاسَ، فكلمَّـــا
مـــرَّتْ بـــهِ الفُرشـــاةُ بَـــدَّلَ دِينَـــهْ
بَـــدَأَتْ بـــهِ الأعـــرافُ حَيـــرةَ نســـلِها
فـــلِأَيِّ ناريْهـــا تقـــودُ يمينَـــهْ
ســـئِمَتْ؛ فألقـــتْ للخيـــالِ عيونَـــهُ
ليقـــيمَ فـــوقَ النَّـــار علِّيِّينَـــهْ
عبـــرَتْ إليـــهِ مِـــن الخيـــالِ حقيقـــةً
ليظـلَّ فـي الـوهمِ / اليقـينِ رهينَـةْ
لـــمْ تبتـــديءْ سِـــفْرًا يُخَلِّـــدُ ذكرَهَـــا
إلَّا تعمَّـــــدَ وحيُهَـــــا تضـــــمِينَهْ
قالـــتْ لـــهُ اقرأْنِـــي مَثَـــانِيَ فـــانبرَى
يتلُـــو علـــى شَـــفَةِ الغَـــرَامِ مِئِينَـــهْ
كـــمْ ســـورةٍ تكفِـــي لتـــذبحَ عاشِـــقًا
وبـــــأيِّ ربٍّ أقنعـــــتْ سِـــــكِّينَهْ
لا تَقسِـــمِي للـــرِّيحِ خُبـــزَ رمـــادِهِ
البحـــرُ أولَـــى أنْ يضـــمَّ جنينَـــهْ
فدَعِيـــهِ للأمـــواجِ تُكمـــلْ نقشَـــهُ
فـــي شـــطِّها كـــي نَقتَفِـــي تدوينَـــهْ
الرمـــلُ أوفَـــى مـــا يكـــونُ مُؤَرِّخًـــا
والمـــاءُ أصـــدقُ مـــا يكـــونُ قرينَـــةْ

تلاواتٌ من لوحِ الأرض

حسن بن عبده الصميلي (السعودية)

للماثلين بهذي الأَرْضِ
تحرسُهُمْ خُطًى
وتحرسُهُمْ في الرَّمْلِ ذاكرةُ
للممسكين ظِلَالَ الأَرْضِ
في يَدِهِمْ
حتى كَأَنَّ ظِلالَ الأَرْضِ هاربةُ
لمُتْعَبٍ كلما نادتْهُ طينتُهُ
لم يرتبكْ ..
فشقوقُ الطين آمِنَةُ
لموطنٍ ظلَّ يغفو في ملامحنا
وَلْتَسْألِ الروحَ
إنَّ الروحَ شاهدةُ
يا أوَّلي
حين لا بدءٌ يلوح هنا
وآخِري حين ضلَّت فيَّ آخرةُ
أتيتُ يتبعني حدسي
وتتبعني نارٌ
ولكنها - يا حدسُ – باردةُ

ورحتُ في شفتي

ماءانِ من وطنٍ

الموطنُ الماءُ لم تعرفْهُ يابسةُ

يا أنتَ

لم يهجرِ الإنسانُ خَيْمَتَهُ

ففي الخيام يدٌ للضيفِ عامرةُ

يا أنتَ

ظَلْتَ رداءَ العابرين على كلِّ الجهاتِ ،

جهاتي فيكَ عابرةُ

ويا أنا

حكمةُ الأجدادِ تحملني إليه

حيث نقوشُ الأمسِ فاتنةُ

وحيث وجهُ بلادي

ممسكٌ بيدي

خُطايَ بعدك - يا معنايَ - ضائعةُ

من موعدٍ يتلظَّى في ارتجافتنا

أتى بخفَّةِ من تتلوه "فاتحةُ"

وراح يصعدُ فينا

كلما نظرتْ عيناه شاهقةً

ترتاحُ شاهقةُ

وكلما نضج الديجورُ

وابتهلت خيوطُهُ

نضجت في الأفق بارقةُ

يا موطنَ السحنات البيض

مُذْ سكنت إليكَ خارطةٌ

لم تشكُ خارطةُ

يا موطنَ الحالمين السُّمْر

ماثلةٌ دروبهم

ودروبُ الطهر ماثلةُ

مذ كان يقترح الإنسانُ فلسفةً

كي لا يشيخ

وقد شاخ الفلاسفةُ

أتيتَ كالأبدِ المنذورِ

تمنحنا خلودنا

وخطى الآبادِ ثابتةُ

***

وبَعْدُ ..يا صخرةً يحكي على جهةٍ حنينُها

مُذْ حكتْ للصخر قافلةُ

وبَعْدُ ..

يا خيمةً يختال "نابغةٌ" بصدرها

وهنا يختالُ نابغةُ

تضيئنا

حكمةٌ لم تنطفئْ أبدًا

تضيئنا

لغةٌ كالضوءِ فارهةُ

وشاعرٌ

كلما الشيطانُ مَرَّ به

تُعيذُهُ في السَّمَاوَاتِ الملائكةُ

وشهقةٌ

كانت الآباد تنفثها

الشهقةُ البِكْرُ يا آبادُ باذخةُ

فمنذ أَوَّلَتِ الصحراءُ رقصتَها

بالبدو

نامتْ بهذا الدرب باديةُ

ومنذُ كان بعيدٌ

يصطفي يده بين التخوم

تماهت فيه عاشقةُ

ومنذ نامتْ ظِلالُ السَّفْحِ

ثَمَّ قُرَى تقولُ:

كلُّ ظِلالِ السَّفْحِ والهةُ

إنَّ الدروبَ التي آوت أوائلنا

تذوب خاشعة والذاتُ خاشعةُ

لعل في نبأ الأمواتِ

خاتمةً تضجُّ ضوءًا

فلا تُفْزِعْكَ خاتمةُ

ترنيمة صباحية لدون كيشوته ...

زين العابدين الكنتاوي (المغرب)

بِصَبْرِ الرّعاةِ القُدَامى نجِيءْ
بَخُورا كمِثْل السّديمِ الوضيءْ
نلُفُّ الدقائق بالأغنياتْ
لنُخْرِسَ صوت الضجيجِ البذيء
ونرسُمُ للقادمين مدى
من الضحكات كظلّ يفيء
شجيراتُ أخطائنا لا تموتْ
لأن الزمانَ سمادٌ خطيء
نخبّئ للجوع نایاتنا،
لَكَم فتّتَ الجوعَ لحنُ خبيء
فيا شلّة السارقين الضيّاءْ
لنا في الدّواخل: قلب مضيء
سنشرع للريح دكاننا
لقافِلةٍ في صباح تجيء
لسيدة من رذاذ الشذا
تُهدهد حُلما بدمعٍ نبيء
لعُكّازَةِ الشّيخ في تعب
تُقدّمُ للقبرِ تِبْغاً ردِيءْ
لكل الصغار، لأرجوحة

من الشغب المَرْيَمِيّ البريء

لنهرِ موسيقى

كمنجاتُه هبوبُ الصّبايا لوعد حميء

***

خذوا..نزقَ الخطو في سرعة

لنا الحجر الفلسفيّ البطيء

لنا..الموقدُ الهادئ السرمدي

يواصلُ تبديد بردٍ مُسيء

لنا...من نِرودا تَبَاريحه

بأنْ لانُهانَ بموتٍ دنيء

لنا...الكأس حين يجف الكلامْ

من النّصفِ نصفٌ: فراغٌ مليء

كما البحتريّ وأستاذه

متاهاتُ قلبٍ ونَزْعٌ لطيء

لنا..- إذ تضيق المنافي بنا-

اتّساعُ القصيدِ لبيتٍ دفيء

***

عزاءٌ هو الشعر يا صاحبي..

كما الحبّ، سلوى، وثأر نقيء

ومَصْلٌ- إذا مالنثانة سادت-

انتفخْهُ انتشاءً لأن لاتقيءْ

اعتنقه! اعتناق المُشاة النشامى

الزعتر الأخير

باسل عبد العالي (فلسطين)

إلى أبي....

هُـــــو الوحيُ يَأتي للقصيــدةِ حَافيًا
فَهـلْ أنتَ قُربي ههُنا كي أَعـــدّلَهْ ؟
أبي كَم من الـــوقتِ السَّريـــعِ أَريدُهُ
لكي لا أَرى الأحـلامَ تهبـــطُ أَسفلَهْ،
وَأتبعُ خــــطًّا كالــــــروايةِ كُلّها
وَترفعُـــني أعلى السَّفيـــنةِ مَرحلَهْ،
هُنا الماءُ يَعلو بي، وَفي البحر سيرتي
فلا شَاهـــقٌ فوقــــي لكي أَتسلّلَهْ،
يَداكَ بلا ريــــحٍ تُعـــرّي سَنابــــلي
وَلا من تـلالٍ في السّـــــرابِ لأدخُلَهْ،
سِواكَ، وَمن صــــاغَ الحكايــةَ زَعترًا
وَما كانَ غيرُ الأرَض تُنجــبُ أجــملَهْ،
وَأحتـــاجُ ضـــوءً كـي أرى أبجَديَّتي
تُوسِّعُ حـرف الحُـــــبِّ فيها لأحــملَهْ،
سَـــــمائيَ بيضـــاء المـلامحِ ثِقْ بها
لِتمــطرَ مــــاء اللهِ كــــي تتأمّلَــهْ،
ولولاكَ ما كـــانَ الخيـــــالُ غُوايَتي
أتذكُرُ أمسي يـــومَ أبتــــــرَ أَنمُلَهْ ؟
تَعبتَ وَلكـــــنَّ الـــروايةَ ها هُنا
مَجازُ الكـلام الآن يَحصــــدُ سُنبلَهْ،
وَميلادُ جفرا حيـــن كَانتْ تسيــرُ في
بلادي وَتروي سيـرةَ الطيـــن جُلجلَهْ،
وَخذْ بيدي فالمــــوجُ يَصعـــدُ هائجًا
إلى جهةِ المجهـــولِ يَتـــركُ مَسألَهْ،
لِحُرّيتي مــــــا قلتهُ عــــــن حِجارةٍ

مَعاني الوجـــود الأَندلُســـيِّ لي وَلَهْ،
كَأنّ احتفال الشمـــس ما زالَ حالكًا
قُرنفلةً في السَّهـــل تبقـــى مُؤجّلَهْ،
فَلسطينُ لي، آنســـتُ فيها قَصيدتي
فَلسطيـــنُ لي، نَزفي يُصارعُ مِقصلَهْ،
سَأخلعُ نَعلي في التُّـــرابِ لكي أَرى
وَأرفعُ حَـــرفًا في المغيبِ لأُشعِلَهْ،
أَحبُّكِ أَنثى كالخـــــــرافةِ هـــا أنا
أُمشِّطُ عُشب الجـــــرح حتّى أُدلّلَهْ،
وَسِفْري كأَثْوابٍ طـــــــويلٍ كأنّني
عَصيٌّ على النســـيانِ أطلـــبُ أَوَّلَهْ،
أبي يَا أبي خذني إليكَ كـــــــما أنا
لأعبرَ في الطُّوفانِ وَحـــدي لأخذلَهْ،
فهذا نَبيُّ الروحِ كـــانَ أبـــي أَبـــي
سَأهزمُ هـــذا المـــاءَ حتّى أَقبّلَهْ

صورة أخرى للماء

كريم أيت الحاج (المغرب)

الْعَابِرُونَ فـــــؤادي هل أحـــسّ بهـــــم ؟
يكفي لأعرفهم قلبـــــي الذي اعــــتــــصرا
تَكْـــــفِيــكَ ذاكـــرة وَرْدِيّـــــــةٌ لِتــــــرى
نــــزْف الحِكَـــايَات فِي جيْبِ الرُّؤَى سُـــــوَرَا
مَـنْ يَجْـــرحُ الغُصنَ فَــــالأَوْرَاقُ تَــعْــــرِفُهُ
إذن لما فأســـك العاري اشتهى الشــــــجــرا ؟

الماء يجــــــهل أن يجـــــــري بلا ســـــــبب
وليته طائـــش لم يســـــــتطع ســـــفــــرا

ooooooooo

لـــــأن غـــــــربتنا ضـــمت مواجــــعـــــنا
كل المواويــــل غَضّـــــت دونــــنا بـــــــصرا
مــن ذا يـــــعوض للوجـــدان محـنتــــــه
فما ارتــــوت صرخـــة إلا بكـــى الــــــشعرا

ooooooooo

يــــــحبك الشـــــعر مجــنونا على فـــــــمه
و كـلـــــما ازددت حــزنا جاء واعْــــــــتذرا
كـــــل التآويـــل لـــــن ترضــــــي عدالته
اللـــوم و البــوح ...لا ...لـــن يقنعا عـــمــــرا
معي من الســر مــا فـــي النخــل من بلــــح
مــــــعي بـــــراءة طـــفل حيـــــر الأمـــرا

بئر سـقى الطـفل أفـكارا لـتسعفـه
كـأن في غيهب الفـقدان قد حـضرا
وشـك في البـئر حتى صـار خيبته
بقدر ما خـيب التـرياقُ محتـضرا
وخلـسة أيـقظ الأزهـار متعـبة
حـتى تـبرعم في الوجـدان مـا زأرا
فـحين صدقـت الأشـجار رفـعته
أنّ المـكان كـأم لم تلـد بشرا
كمـثل أي الوصـايا عاش منـتـظرا
و خـاله الـحلو في وجـه الأسـى ظهرا
كالـعـنكبوت أقـامت بـيتها ثـقة
تـبـني من الـخيط فسـتانا إذا اندثرا

ooooooooo

و أنـت في الشـّدة الأولـى تصـير فتى
يهـدهـد الأرض كي لا يـسهـر الفـقرا
مـحملا بأسى قابـيـل في لـغـة
منذ الْتـماع مرايـا الماء قد كـفرا
شـاخ الحـنين و بـات الدمع يجـلدني
و اسـّاقـط الدمع من وجدي وقد سهـرا
ماذا يلقن لـلأطـفال بـَعْـدُ فـي
تَقَطّر الـهم في الأوطـان و انتـشـرا
تـبـعثـرت مدن التشبيه أجمعُـهـَا
ألا تـرى قَلبي المـجروح منـفجرا ؟

ooooooooo

هـنا ولـدنا ولكن خـلـف ذاكـرة

تـــرتِّـــل العشــق... تبـــنـــــي حلمنا قمـــرا
و ما ارتـــــــدينــــا لِيَـــوْم جرح أغنيــــة
تـــــكسّرت شغـــفا و الحـــب مـــا انكـسرا
إني برئت مـــن الأوطــــان زخـــــــــــرفها
لطالما يحـــــرق الســـّادات منتصــــــــــرا

هامش

أن'' أنَّ أنَنْتُ ، يَئِنّ ، ائْنِنْ / إنَّ ، أنًّا وأنينًا ، فهو آنّ
أنَّ المريضُ تأوّه ألمًا بصوتٍ عميق وشكوى متواصلة أنَّ جريح / متوجِّع
''خالة''مفرد لجمع خيلان و أخيلة وهي شامة أو نُكْتة سوداء في البدن وغالبًا ما تكون في الوجه

الشاعر

مصطفى قاسم عباس (سوريا)

يُهدي فَلا الحرفِ غيثاً , والْمِدادَ سَنَا ... ويَمْلأُ السِّفْرَ دُرَّاً.. يُطْرِبُ الزَّمنا

يُسامرُ السُّهد.. يَحكي للدُّجى قِصصاً ... يَهُزُّ جِذْعَ المسا للصُّبح دونَ جَنَى

..يدكُّ طورَ خيالاتٍ تلوحُ سُدَىً ... وفوقَ هَامِ الرُّؤى يَبني لهُ وَطنا

بخاطرٍ يرسُمُ الذّكرى.. يُدَثّرُها ... بِبُرْدَةٍ ..يا لَغَيمِ الْحُلم كَم هَتَنَا !

تراهُ يُبْحِرُ في لُجّ الحنين بلا ... موجٍ ويُزجي تبارحَ الهوى سُفُنا

مُلَمِلِمَاً ما تَشَظّى منه ..مُعْتَصِراً ... من كرمةِ الرُّوح خَمراً يُسكرُ الوثَنَا

وناثراً طَلَّ حِبْرٍ فوق مِنضدةٍ ... حَيْرَى , وسيفُ الدُّجى يغتالُ لَمحَ سَنَا

غفا المدادُ على زَنْدِ القصيدِ وما ... غفتْ له أعينٌ أو عزمُهُ وَهَنا

فَلَيلُهُ نابغيٌّ , شدَّ أنْجُمَهَ ... بِيَذْبُلٍ , والكرى إنْ زاره دَفَنَا

حَدَا نِياقَ الهوى في رَكْب من عشقوا ... وأمطرَ الوصلَ في بِيْدِ النّوى مُزُنا

وبثَّ في الكون تغريداً ونفحَ شذاً ... كعندليبٍ شدا صَبّاً بأيكتِنَا

وعنه كم صاغَ همسُ الدّهرِ أسئلةً ! ... وعن نجاويه ثغرُ الليلِ حدثنا

فقال : ذا شاعرُ الأحلام يصدحُ في ... سَمْعِ المدى قائلاً : أنا الْجَمَالُ أنا

أنا مروجُ الرُّؤى , أبكارُ قافيةٍ ... هزارُ بَوْحٍ بروضٍ تَيَّمَ الفَنَنَا

أنا بُراقُ الْمَعَانِي , سِحرُ فاتنةٍ ... فُصحى ..يُغنّي معي سِرْب المجاز هُنا

أنا شموسُ الضُّحى في خدِّ غانِيَةٍ ... أنا السِّهامُ بطَرْفِ الرّيم حين رَنَا

على قُصاصة أوراقي سقى أرقي ... قفارَ سُهْدٍ بِجفنٍ ضَيّع الوَسَنَا

فمن سوايَ حبا للشِّعرِ أجنحةً ... وللحروف حُداءً شَنَّفَ الأُذُنا ؟

ومن سوايَ يُواسي بؤسَ مُغتربٍ ؟ ... ومَن يُضَمّدُ جُرحاً نازفاً وطنا ؟

ومن يُحمِّلُ أنسامَ الصَّبا عَبَقاً ... مع السَّلام لِحِبٍّ أينما سَكنا ؟

..عن لوعتي فاسألوا مُضْنَىً يُؤرّقُهُ ... نوحُ الحمامِ إذا أهْدى الورى شَجَنَا

سلوا دموعَ اليتامى , ثُكلَ مَنْ فُجِعتْ ... وشوقَ صَبٍّ يُناجي طيفَ مَنْ ظَعنا

بِمَدْفن اليأس كمْ أحْيَيْتُ مـــن أمـــــلٍ ! وكـــم زرعـــتُ بصـــحراءِ الشَّـــقاءِ هَنَـــا !
وفـــي ســـكينةِ بَـــوْحي كـــم غفـــا وَجِـــلٌ كـــأنَّنِي كعبـــةٌ مـــن حـــلَّ بِـــي أَمِنَـــا

..لولا قريضـــــــــي وما دَبَّجتُ من حُلَلٍ لَمَـــا تغـــزّل مَـــنْ يهـــوى بِمَـــنْ فَتَنَـــا
وما رأينا لِقَـــــــــــــيسٍ ألفَ لؤلؤةٍ بوصـــف ليلـــى تُوَشّـــي وَجْهَهَـــا الْحَسَـــنَا
ولـــم تَـــنُحْ فـــوقَ غُصـــنِ البـــانِ ســـاجعةٌ بـــلا هُمـــومٍ تُنـــاجي فارســـاً سُـــجِنَا

..ضدانِ فِيَّ ففي روحـــــــــي تَشُبُّ لَظىً وفـــي ضـــلوعيَ بَحـــرُ الوجـــدِ مـــا سَـــكَنا
نفثـتُ مـن سـحرِ هـــاروتٍ علـــــــى ومـــن بَهَـــا يوســـفٍ وشَّـــحْتُها بِسَـــنَا
لُغَتِي لذا أشيخُ وشعري في السُّطورِ فَتَىً وإنْ فنيـــتُ فـــلا يُفْنِـــي السُّـــطورَ فَنَـــا

مواويلٌ للرّاحلين

أحمد علي الفاخري (ليبيا)

من لِي بقلبٍ بحجم النورِ ينصهرُ
كي أُطفِئَ الدّمعَ
في أحداقِ من هجَرُوا

تظلُّ للوطنِ المكلومِ ساقيةٌ منَ الحنينِ ..
ستسقِي كُلَّما ادَّكَرُوا

لعلَّهُم كُلَّما حنُّوا
تحدِّثُهم نبوءَةٌ
عن دروبِ البدو
فاصطَبَرُوا

لم يكتفِ الرّملُ من تِعدَادِهِم ومَضُوا
قُلُوبُهُم وَطَنٌ ما حدَّهُ السَّفرُ

مشيًا علَى الرَّملِ
تمضِي رحلتِي ومعِي
همٌّ الغيابِ ..
وحُلمًا شاخَ أدّخِرُ

***

يَحكِي عنِ الرَّملِ شدوُ البدو
مُذْ وُجِدُوا
هيِّء خُطايَ
فَوَحْيُ الوصلِ مُستَتِرُ
تَحكِي عنِ الرّملِ هذِي الرِّيحُ
تنشرُه في وَحْدةِ العدَمِ الخلاّقِ

ينتشِرُ

صمتٌ تردَّدَ في وَحيِ النُّشوءِ
ولم يصمُتْ
سِوَى أنّهُ في النَّشْءِ مُندَثِر

في همسهِ لم يزل للبوحِ منطَلَقٌ
في جوفِهِ
حِكمَةُ الأمواتِ والنُّشُرُ

لا يهتدِي من ضَيَاعٍ حدُّ رحلَتِهِ
وسُحنَةُ الرّملِ كم يخفَى بِهَا الأثرُ

تمشينَ في الرّملِ منذُ البدْءِ يا بَلَدِي
تَحيَيْنَ .. تَخفَيْنَ .. يُعييكِ المدَى الوَعِرُ
***
فِي الرِّحلَةِ الرُّوحُ
كان الحبُّ مهجرَهَا
والحبُّ للرَّاحِلينَ الهمُّ والكَدَرُ

والحبُّ ينضُجُ في الأحشاءِ
يوقِعُنَا عنِ الخُلُودِ
يسلّيهِ بنا القدَرُ

في الرّحلةِ الدّربُ
شقّتهُ الملامِحُ
والْخُطى تَحِيكُ وُجُوهًا حولَهَا صُوَرُ

كُلُّ الأماكِنِ والأبوابِ تُثقِلُنِي
كلُّ المسافاتِ خَلفِي بعضُ ما أزرُ

أمضي بلا وَثَنٍ يبقى

أُحمِّلُهُ هَمَّ الجُذَاذِ
وقومي هُمْ مَن انكَسَرُوا

النَّارُ منهُم وفيهِم هُم قد اشتعلُوا
والحبُّ بردٌ عليهم
لو هُمُ انتهَرُوا

نحو النّهاياتِ منذُ البدْءِ وجهَتُهُم
لا بُعد
– في أُفْقِ الما بعدُ –
يعتمرُ

أمضِي ..
فثمّ ملاذٌ عنهُمُ لهُمُ
في أيّما جِهَةٍ
من حيْثُمَا انحدَرُوا

***

أطلقتُ في ملكوتِ اللّهِ أسئِلَتِي
لا ربَّ من هذِهِ النَّجماتِ يبتَدِرُ

لا نُورَ في القمَرِ المختومِ
مكمَنُهُ وجهُ الإلهِ
ووجهُ اللّه يُنتَظرُ

الشّمسُ أكبرُ
لكن إن بدَتْ أفَلَتْ
تورّدتْ في مدارٍ فيهِ تستَعِرُ

وجهُ السّماءِ غريبٌ في الغيابِ ومَا
لي حُجّةٌ غيرَ أنّ اللّيلَ يبتكِرُ
***
يبدُو عَلَى اللّيلِ

أنَّ الحزنَ يوقظُهُ
وكلّما أغمضت عينٌ لهُ بصرُ

يبدو على النّور
أنّ الشّمس تُبعده
- في غفلة – عند خط الأفق ينحسرُ

يبدو على النار
أن النور يولعها
وشوقها كاهتزاز الدمع ينفطرُ

يبدو على البحر
أن الصمت يُغرقه
وموجه فوق سطح البوح ينكسرُ

يبدو على الطين
أن الحب بِلّلَهُ
وخمرة الحب في الأحزان تختمر

يبدو على الناي
بوح لا انتهاء له
لا زال يُنشد حزنا ليس يُختصرُ.

أَرِح ركابَك

عبد الحميد الرجوي (اليمن)

أَرِحْ رِكَابَـكَ و لْيَسْـــكُنْ بِـــــكَ الأرَقُ
فَهكـــــذا سَفَــري في زِئبَـــــــقٍ يَثِقُ
هـذي الدُّروبُ تَسَاوَتْ، والغَريـــبُ أنا
كـــأنني في خِضَـــــمِّ المَاءِ أنطَلِـــقُ
مَـوتَانِ في داخِلـــي، مَـــــوتٌ أفِرُّ لَهُ
و آخَـرٌ مِنْهُ لا يَخْفَـــــى بيَ القَلَـــقُ
يُوْمي إليَّ المَـــــــدَى مِن ثُقْـبِ نَافِذةٍ
خَجْلَى، يُواري سَنَاهـــا جُـرْحيَ النَزِقُ
إنـــــي هُنا شَاعـــــرٌ ألْقَى بِشَهْقَتِهِ
حَلْقُ النَـدَى ، و كـــــأني مِنْهُ أنْعَتِقُ
و مِن شَظايا الوَميضِ الغَضِّ تَجمَعُني
يَدُ الـــرؤى، و كـــــأن المَاءَ يَحْتَرِقُ
بَينـــي و بَيني مَسَافـــــاتٌ قَـرأتُ لها
كَـــفَّ التَعـــاويذِ حتى خَارَتِ الطُرُقُ
أقْتَاتُ منّي رَغيفَ الـــــذاتِ، أنفُخُ بي
روحاً مِن الضوءِ أغْفَـى بَرْقَها الشَّفَقُ
أكادُ أسمَـــــــعُ بيْ ذئباً جَهِلْـــتُ بهِ
إلا العُـــــواءَ يَقيناً، و الصـدَى شَبِقُ
بيْ أسْتَبِـــــــدُّ، و مِنّي لـــيْ أفِرُّ، ولا
مَنْجا سوى الروحِ، فَهْيَ الحِبْرُ و الورَقُ
مِن بَينِ هذا الـــــرُّكامِ الغَثِّ يَرشُقُني
غُـثاءُ خَتْـمٍ، لِبَابِ البَـــــدْءِ يَسْتَبِـــقُ

مِن أيِّ هـذي المَرايا الشَاحِـــباتِ أرَى
بَصيصَ نفسي، و بيْ يَستَوطِنُ الغَسَقُ ؟
ما زالَ بيْ مُنذُ مِيلادي الأخيــــرِ قَذىً
مِن سَطْوِهِ انطَـفـــأَتْ في مَائِها الحَدَقُ
مِن هـــذه الطينةِ السمـراءِ جئتُ و في
كَفّي يَراعـــــــي، و في أنفاسـيَ العَبَقُ
و جئتُ أحمِـــــــلُ تاريـخاً شَقيتُ بهِ
في رؤيةِ البَـــــــدرِ ما يَشْقَى بهِ العُنُقُ
مِن شَهْقَةِ الظمَإِ اعشَوشَبْتُ، و انْبَجَسَتْ
حَولي مِن الوجَعِ الأنــــــداءُ و الأُفُقُ
و في ثَرَى الوطَـــنِ المَصلوبِ أصلُبُني
و داخــــــــلي وطَـنٌ ما زالَ يَنْسَحِقُ
أكادُ في غُـــربَةِ المَنْفَى الكبيــــرِ أرَى
ظِلّي ، فَأيَّانَ هـــــذا الجِسمُ يَلْتَحِقُ ؟

يم بملح الموج

خالد عبد الله الحكيمي (اليمن)

طِفْلٌ بِحِضْنِ اليمِّ سَرَّ ضَيَاعَهُ
وَالْموجُ مِنْ سِـرّ الكَلَيْمِ أَذَاعَهُ
مِنْذُ اسْتَقَى لَبنَ المَواجعِ حَرّمَتْ
أَهْوَاؤُه مِـــــنْ غَيْرِهَا إِرْضَاعَهُ
أَلِأَنَّ ضَرْعَ الآهِ هدْهـــدَ جُوْعَهُ
بالْجَمْرِ لَا بِالتمْـرِ غَاثَ جِيَاعَهُ
لَا حِضْنَ لَا مَأْوَى يَضُمّ جَنَاحَهُ
ضَمّ الملاك بِجمـــرةٍ فَالْتَاعَهُ
أحْزَانُهُ فِرْعُـــــونُ رَبّى يُتْمَهُ
وَأَبُوهُ شَيخُ الْغَيــبِ مَدّ يَفَاعَهُ
عَيْنَاهُ فِي فَلَكِ النّبُوْءةِ غَاصَتَا
وَبَنَى السَّـــرَابُ بُمُقْلَتَيهِ قِلَاعَهُ
أنّى يَنَـــــام وَلَا أمَانَ يُجِيــدُهُ
أَرِقاً يُزَمّـلُ وَحيـــهُ إفْزَاعَــهُ
مُتَوَكّئاً بِعَسَــى،وَيَرْعَىْ حُلْــمَهُ
وَيَهُشُّ بِالْأَمَـــلِ الْجَرِيْحِ نُخَاعَهُ
صبـــراً على الآتي يرمّمُ روحَهُ
فأســاهُ هـــارونٌ يشدّ ذِراعَه
كَمْ رَاوَدَ النَجْـمَ البَعَيْدَ خَيَالُهُ
وَإِذَا الْمَسَافَةُ تَسْتَبَيْح صِــرَاعَهُ
جَيْشٌ مِنَ الْحَسَـرَاتِ حَاصَرَ سَعيهُ
سَعْـياً إلى الَغـايَاتِ سَلّ يَرَاعَهُ

حَتّى اسْتَبَـد اليأسُ في أحْلَامِهِ
مَن ذا ..وَغرَّبَ بِالْأَسَى أصْـقَاعَهُ
وَيُقَالُ فِيْهِ البَحر أَودعَ مَــوجَهُ
وَيُقالُ أَنَ الْخِضْرَ شَدّ شَرَاعَهُ
وَمَشى بَلَا هَارُوْن قَمحُ يَقــيْنِهِ
والشكُّ يَمْلَأُ والْخَيَـــالُ مَتَاعَهُ
مَــنْ ذَلَكَ الآتِيْ الغَرِيْب وَخَطْوهُ
نَهْرٌ تَلِيْ قـــــيثَارةٌ إيْقَــاعَـــــهُ
يَهْمِي بِأَوْجَـــاعِ المَدِيْنةِ كُلَّـــمَا
نَكَأَتْ جِرَاحٌ لَمْ تَشِخْ أَوْجَاعَـهُ
قَلِقٌ يسِيلُ على الشَـوارِعِ غُربَةً
كَالْبَحْرِ سَرّحَــتِ الرّيَاحُ طِبَاعَهُ
وطنٌ تَــوزّع ِفِي المَنَافِي حَاضِـنًا
جُرْحَ الْغَرِيـــبِ يَلُمُّ فِيْهِ بِقَاعَهُ
يَا نَجْمُ ضَلَ المُهْتَــدِي بِضَلَالِهِ
وَرَأى بِوَجْهِ البُوْصَلَاتِ خِــداعَهُ
إذْ كُلّمَا بَزَغَتْ رُؤَاهُ بِنَجْــــمةٍ
أفِلَتْ فَرَاغَ إِلَى فَـــرَاغٍ رَاعَـــهُ
حَتّامَ يَوْهِمُهُ الضّـــيَاءُ وَحَالُهُ
جُـــبٌّ يُجَـــبّلُ بِالِدَيَاجِي قَاعَهُ
لَمّا رَأى نَـــاراً تَوَضّأَ بِالصّــدَى
وطِوَىً بمَاءِ الغيْبِ شَدّ سَمَاعَهُ
أصْوَاتُهُ غَابَت بِغَابَةِ حَدْسِــــهِ
والصّمْتُ في صَخَبِ الحروفِ أطَاعَهُ
فأوى لـوادي الذاتِ يَخلعُ ظلَّهُ

مَا كَبَّلَـــــــتْ تَنْهِيْدَةٌ أضْلَاعَهُ
أَلْقِيْ عَصَاهُ الشكّ فِيْ حَجَرِ الدُجى
حتّى رأى في الساجدين شــعاعَهُ
فَغَوَى الْوَرَى مَنْ شَيَّعُوا خُطُوَاتِهِ
حتّى رآهُم بالهَـــــوَى أشْيَاعَهُ
فِي غَيْـــمَةِ المَعْنى تَدَثّــرَ وَحْيُهُ
فَأَبَانَ وَجْهَ الْغَيْــبِ قَدَّ لِفَاعَهُ
لمّا التَقَيْــتُ بِهِ تَوَارى عَن فَمَي
خَلْفَ الكنايةِ فانْتَزَعْتُ قِنَاعَـهُ
لَا يَعْرِفُ التأوِيلَ مِلـــحُ كَلامِهِ
مُوسى بِحِضْنِ اليَمّ سَرَّ ضَيَاعَهُ

عَن شَعبِ الحَجَرِ الأَسعَد

محمد سالم عبادة (مصر)

حَجَرُ المُؤمِنينَ مازالَ أخضَرْ

نابِضًا بابتسامِهِ

حَيثُ يُذكَرْ

وَعيُهُ السّابِغُ الأَكُولُ حَوى

التّاريخَ، فادهامَّ ظاهِرًا وتَغَبَّرْ!

هُوَ حَكّاءُ البَيتِ،

إمّا استَلَمْنا

تَمتَمَ السِّرَّ، أو أَشَرْنا فَيَجْهَرْ

اعتَلَى ثَوبًا ضافِيًا ذاتَ يَومٍ

مِن خُيُوطٍ

فَجرِيَّةٍ تَتَبَخترْ

خَفَقَ الثَّوبُ يَومَها فَهْوَ قَلبٌ

طائِرٌ بالحَنينِ لا يَتَصَبَّرْ

أَمْسَكَتْهُ

أَيدي العُرُوبَةِ مِن

أطْرافِهِ، والنَّبِيُّ مَسَّ الأَبْهَرْ

فتَناوَلتَ سَيِّدِي حَجَرَ

الغَيْبِ

وأَنزلتَه بِرُكنٍ مُوَقَّرْ

حَجَرٌ كان عَرشُهُ أَيدِيَ الخَلْقِ،

وفي عالَمِ الشَّهادَةِ يُنظَرْ

مُنذُ أَورَيتَهُ

بدِيباجِ كَفَّيْكَ

احْتَبَى لَيْلَ الغَيبِ ثَمَّ وأَقمَرْ

يا لَكَفَّيْكَ! أَيُّ خَلقٍ وَضِيءِ

طالِعٍ مِن رُدْنَيْكَ رَيّانَ أَزهَرْ؟

فيهِما سَبَّحَ الحَصَى

حاكِيًا

أَمْرَ أَبِيهِ المُدهامِّ حَتَّى اسْتَعبَرْ

يا لَكَفَّيكَ! ما رَمَيتَ ولَكِنْ

كانتا قَوْسَ اللهِ، يَرمِي وتُنصَرْ

أيُّ طِبٍّ

وقَدْ أَعدتَ إلى

المَحْجِرِ عَينًا مُلتاثَةً تَتَحَدَّرْ

أَمَّنَتْها يُمناكَ في عُشِّها مِن

جارِحِ السَّيفِ، ها (قَتادَةُ) أَبْصَرْ![1]

(أُحُدٌ) في كِتابِ أُمَّةِ (طَهَ)

بالدَّمِ الزَّعفَرَانِ

ظَلَّتْ تُحَبَّرْ

كُلَّما رُغنا عن إشارَةِ كَفَّيْكَ

[1] الإشارة إلى الرواية المذكورة في (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) للإمام الذهبي، بشأن إصابة عين الصحابي (قتادة) حتى خرجت من محجرها في غزوة أُحُد، وتثبيت النبي صلى الله عليه وسلَّم إياها بكفه فكانت أحسن عينَي (قتادة) فيما تلا ذلك من حياته.

سُحِرْنا، والسِّحْرُ مازالَ يُؤْثَرْ!

(أُحُدٌ) مارِدُ الحِجارَةِ يَحمي

ظَهرَ جَيشِ النَّبِيّ والحَربُ تَزأَرْ

ثُمَّ يَرتَدُّ

حِينَما تُولَدُ السَّلْـمُ

وَلِيدًا يَلْهُو بِها ثُمَّ يَضْجَرْ

لا يُواسِيهِ غيرُ حِضْنِ (أبي القـاسِمِ)

أحنى الآباءِ طُرًّا وأَطْهَرْ

عالَجَت كَفَّاهُ الحِجارَ فَمِنها

هابِطٌ خَشْيَةً،

ونَهرٌ تَفَجَّرْ

خاتَمُ الرُّسْلِ سَيِّدُ الثَّقَلَيْنِ

الكَابِتَينِ القُلُوبَ حَتَّى تَحَجَّرْ

اجتباهُ القَيُّومُ يَتلُو علينا

قائمًا آيَ الحَشْرِ قَبلَ المَحشَرْ

أُنزِلَتْ، صَدَّعَتْ جِبالَ قُلُوبٍ

هالَها النُّورُ، صاحَت: "اللهُ أكبَرْ"

حَمَلَ الهادِي

ما تَطايَرَ عنها

مِن غُصُونٍ خُضْرٍ وَطَيْرٍ أَخضَرْ

فَبَنَى في قُباءَ بَيتًا وَبَردًا

وسَلامًا لِلخَلقِ مِنها، وأَكثَرْ

يا إمامَ المُقَلِّبينَ

الوُجُوهَ الـعُمْرَ

في صَفحَةِ السَّماءِ، تَدَثَّرْ

بُردَةَ القَابِ وابتَسِمْ، وأَجِرْنا

مِن دياجِيرِ حَيرَةٍ لا تُصَوَّرْ

سِدرَةُ المُنتَهَى

مَقامٌ رَفيعٌ

جَلَّ عَن دَركِنا الغَرِيرِ المُخَدَّرْ

بَيْدَ أنّا نَرجُوكَ: إمّا أَخذتَ

الآنَ في فَيئِها تُصَلِّي

وتَنحَرْ

أن تُدَلِّي غُصنًا فَيُرسِلَ ظِلاً

نَتَعَلَّقْ بهِ بِجَوفِ المَشْعَرْ

النّاطُورْ

عادل بصيلة (المغرب)

أُجالسُ البَدْرَ وَحْدي في مَضاجِعِهِ
والليلُ يَحْكي لإِشْفاقي مَواجِعَهُ
كأنّني رجلٌ ما ذاقَ فاجِعَةً
أنا الذي كانتِ الأشْواكُ تَسْنُدُهُ
باسم التي تَرَكَتْ وَشْمًا يُجاوِرُني
أَوْقَفْتُ شَكْواهُ حتَّى صِرْتُ أُنْشِدُهُ
في رَفِّ قلبي ترى طَلاًّ يُبلِّلُهَا
كَما تُبلِّلُ دَمْعاتي تَحَجُّرَهُ
وَمرَّةً قدْ ترى مَوْجي يُحاكِمُها
كَمَنْ يُحاكمُ في سِرٍّ مَخاوِفَهُ
كمْ ناشَدَتْها جِراحي كيْ تَعُودَ لنَا
ما هزَّها جَفُّ ريقي لا تَعَطُّشُهُ
مِن وَقْعِ نازِلَتي أنْشَدْتُها طَرَبًا
ألبَسْتُهُ غزلاً أَرْغَى تَفَنُّنُهُ
أما سَئِمْتِ بُعادَ الحُضْنِ لاسِيمَا
أنَّ العنادلَ في الأغْصانِ تَعْشَقُهُ
تَبِيضُ فوق يدايَ الدَّهْرَ آمِنَةً
مَهْما ادَّعُوا كَذِبًا أنّي مُدَنِّسُهُ
عودي قَرينًا إلى وَعْدي ولا تَغِبِي
ما دامَ في غَيْبِكِ الأشواقُ تَصْرَعُهُ
وَكيف لا يُصْرَعُ المُشتاقُ مِن شَغَفٍ
حطَّ الأُجاجَ على جُرْحي لِيَسْحَلَهُ

بَعْدَ الرَّحيلِ تَهاوَتْ قُوَّتي بَرَدًا
فوقَ الجبال وحَرُّ الشَّمْسِ يَعْدِمُهُ
تَهيمُ في كَلِمي الغِزْلانُ عاشِقَةً
أمَّا رِضاكِ فلا شِعْرًا يُقَرِّبُهُ
بعد انْكِساري رأيتُ الشَّهْدَ يَجْمَعُني
فَسِحْتُ بَسْمًا على دائي لأُشْفِيَهُ
ودارَتِ الأرضُ فَرْحَى مِن مُجاوَزَتي
أنينَ نصٍّ مضى ما كُنْتُ كَاتِبَهُ
والْتَفَّتِ السُّحُبُ النَّجْلاءُ حَوْلَ غَدي
تُطيحُ بالمَدَد الصَّافي فَتُزْهِرُهُ
قَصَدْتُ عرَّافةً كانتْ تُطالبني
أن أقرأ الطّالِع المشؤُومُ قادِمُهُ
كي لا أُحادي عَذابًا باتَ يَقْرُبُني
وفي خُطايَ تَرى ظِلّي يُطارِدُهُ
واجَهْتُها شامخًا والجنُّ تَحْسُدُني
لَمَّا رَأَوْا بِالمُنَى ذاتِي تُقارِعُهُ
تَبَسَّمَ اللّيلُ في وجْهي مُجاملةً
والهَمُّ بادٍ على النَّجْدَيْنِ يَعْصُرُهُ
حظُّ البئيسِ كَحَظِّ اللَّيلِ مُنْقَطعٌ
إذا تَلطَّفَتِ الأقدارُ تَخْنُقُهُ
كَمْ منْ ضَحِيَّةِ قَصْفٍ باتَ في كَبَدٍ
فكُنتَ خَيرًا لهُ مِمَّنْ يُعَزِّرُهُ
لا خَيْرَ يُرجى منَ العَرّاصِ إنْ نَشَرَتْ
أسْقامها فوق عِرْزالٍ لتَخْسِفَهُ
فيا جمالَ الدُّجى في كُحْلِكَ العَجَبُ
وفي سَجَاكَ هِلالٌ غَارَ حَاجِبُهُ

مراودة الليل

أحمد إبراهيم مكاوي (مصر)

الليـــــــل راود حارسيكِ وسالا
فـــوق الضـــــياء تبخترًا ودلالا
نهر اللآلئ في جـــــنانك غـــــارقٌ
والبدر في كنـــــف الدلال تعالى
ويغيظ شمسًا في السـماء صبية
بين النجـــــــوم ويستزيد كمالا
حتى جـــــــرى بين المجرة نوره
ويفيض بين مشاعـــــري شلّالا
ويقبّل البســــــتان في علـيائه
والورد هلّ على الســحاب ومالا
وبمعول المعهود قامـــت كعبتي
صوب المعابد تهـــــدم التمثالا
وتخلص **المسجون** من ثبج الدجى
وتقـــــتّل الكـــــهّان والأنذالا
وتقيم فيها الدين بعد ضـــياعه
وزواله وتكسّـــــــر الأقـــفالا
كيف التقتني بالجـــمال عيونها
والهجـــــــــر بينهما بعزمٍ حالا
وأذوب في ورد بحـــــقل مزهـــر
في حسنه دون الحقـــــول تلالا
وكأنّ موردَه العطـــــورُ ونبعُه
مسكٌ ويســقى بالعبيرِ جـــمالا

وببركة المجهـــــول جيش واقف
يترقب الشجـــــــعان والأبطالا
ينساب مثل الجن من **غبش** الدجى
بسهام مـــــــوتٍ تَسلب الآجالا
وعلى رمال الليل يرســف عاشق
يتسوّل الفخار و الصـــــلصالا

مترقبًا لحـــــــدوث معجــزة له
ويقول يا قمــر الســـــماء تعالى
ويغيب في ليـــــــل وصبح حائرًا
منه الســـــــــماء تزلزلتْ زلزالا
من عتمة الكون **الفسيح توهّجتْ**
حتى أبانـــــــــت للضياء مجالا
فمتى أطـــــــوف بكعبة جذّابةٍ
بالسحر تسبي يا رجـــــالُ رجالا
بطشتْ يد الأيام فانهــار الضحى
والشمس تبكي بالعقيق الحـــالا
ونيازك الحبشيّ تقصــف كعبتي
والطهر أصبح في الحيــاة ضلالا
والطير تسقط بالحـصى مغتالة
والفيل يرقص فرحـــــــة ودلالا
والدمع أصبح سنة مشـــــروعة
ودم الشهيد بعين زمزم ســـــالا

حين يتسرب القمر

أمة الكريم نصار (اليمن)

خُـــذني إليـــك وحيـــدا أيّهـــا القمـــر فتلـــك روحـــي مجـــازٌ هـــدّهُ الســـفَرُ

خـــذني ففـــيّ مـــن التأويـــل فاتحـــة منضـــودة الزهـــر لا لـــم يســـقها مطـــرُ

خـــذني إليـــك فمـــا لـــي هـــا هنـــا وطـــن إلا لجـــرح قـــديم لـــيس ينـــدثر

وزّعـــتُ بـــين مراثيـــه هنـــا قلمـــي ومـــزقَ الـــوردَ فـــي أرجائـــه الخفـــرُ

تلـــك المواويـــل أمـــواجٌ تقـــاذفني والـــريح فـــي القلـــب لا تبقـــي ولا تـــذرُ

خـــذني فكوكبـــك الأخّـــاذ يأســـرني ويصـــطفيني علـــى أطيافـــه الســـحرُ

تسوسَـــن الألـــقُ الممـــزوج منـــك دمـــي القمـــح فـــيّ ومنـــك المـــاء والمطـــرُ

علـــى جبينـــي مـــن الترحـــال قافيـــةً ســـمراء مـــن بينهـــا تصَّـــبّب الـــدررُ

حُملتهَـــا فوقهـــا الأحـــلام مـــا تعبَـــت عـــن التناســـل فـــي أرحامهـــا الصـــورُ

قصـــيدة المـــاء مـــن عزفـــي أنـــوْء بهـــا تـــدفقت فـــي المـــدى والرعـــد يـــأتزرُ

وأغنيـــاتٌ بـــنفس الطعـــم تشـــربني وتغســـل الـــروحَ مـــن أشـــيائها قطـــرُ

أتٍ إليـــك امـــتلاءٌ بعضـــه بشَـــرٌ فهـــل ســـتقبل مـــا يـــأتي بـــه البشـــرُ

وروح مـــاء علـــى أعتـــاب ســـطوته أَســـتنْفد الطـــين منـــي حـــين أبتـــدرُ

آتٍ سأغســـل فـــي أنـــواره حجَـــري وذلـــك الـــبعض أرمِيـــه وأنتشـــرُ

وأخـــرج اليـــوم مـــن عنقـــاء شـــرنقتي أصـــفد الليـــل فـــي ضـــوئي و أقتمـــرُ

لـــم يبـــقَ فـــي عـــالمي شـــئ ليعرفنـــي أمشـــاج نـــور أنـــا فـــي النـــور أختمـــرُ

تخاطـــبُ العـــينَ عـــن ذاك الوجـــود ومـــا تحكيـــه مـــن ســـحره مـــا قـــد رأى بصـــرُ

يـــا نقطـــة الضـــوء فـــي ديجـــور قـــافلتي فـــي حضـــرة النـــور قـــل لليـــأس يحتضـــرُ

خـــذني قصـــيدة أضـــواء مســـرَبَة فـــوق الحيـــاة ليحيـــا بينهـــا الزهَـــرُ

خـــذني إليـــك فمـــا للكـــون مـــن قـــدَر يُجلـــى إذا لـــم يكـــن فـــي نـــورك القـــدرُ

القائمة القصيرة الممتازة:

صنف القصة القصيرة

رمس سُهاد

بلقيس الكبسي (اليمن)

عندما فتحتُ عينيّ لأول مرة قرأتُ صفحات وجهه المحبرة بالشدة، وربما بالحزن، وحفظتها عن ظهر حب، رغم قساوتها، يومها بذرَ حبه في أعماقي، فنما وترعرع، لقد أحببته منذ الوهلة الأولى، وأظنني قد أحببته قبلها، ربما عندما سمعتُ صوته لأول مرة، لحظة كان يداعب حبيبته، وكنتُ أصغُ لهمسهما وهمهمتهما ومرحهما وحوارهما،حينئذ لم يكن قد رآني أو رأيته، لم يسمعني لكني سمعته، "فالأذن تعشق قبل العين أحيانا".

رغم إحساسي العميق به وبكل ما يعانيه، إلا أن شعوري الأعمق بأن أشد ورطاته هي خطيئة وجودي في حياته، وكأنني أُقحمتُ فيها رغماً عنه، وحُشرتُ بين أعباءه بلا إرادته، كان مجيئي إلى بيته أشبه بغلطة بل نقمة، إلا أن حبه كبر معي لحظة بلحظة ويوماً بعد آخر، بينما ترعرعتُ في كنفه الرافض لي، ترعرع حبه فِي كنف قلبي الشغوف به، رغم أنه لا يناديني باسمي بتاتاً- ربما لا يعرفه وقد يكرهه ولا يطيقه- لا اسم لي في هذا البيت الذي يجمعني به، والدته تناديني (بنيتي) وهو يناديني يا (أنتِ).

هذا البيت يبدو قارساً جداً، ويزدادُ صقيعاً عندما يتركه ويرحل، لا أحد فيه سواي، وحضوره النادر، ووالدته الشبه عاجزة، الدامعة كثيراً، والصامتة دوماً، ولكن وجودها كان بلسماً يطبب جروحي التي تدميها مخالبه، تظل تحميني منه، وتُهدأ تنمره عليّ، وافتراسه لي.

رغم كل ما أعاني منه، إلاّ أنني اعتدتُ على كل شيء ممزوج بنكهته، شروده الغارق، قسوته الظاهرة، عبوسه الدائم، قراراته الصارمة، نفوره المستمر، وحيرته الصامتة، امتلأتُ به حد التخمة، لا أرى أحداً غيره في محيطي، لقد توغل إلى أعماقي بانسياب وأعقل وثاقي بشخصيته وحضوره وامتلاءه! بينما هو لا يرأني في قاموسه اليومي، لا ينتبه لي ولا يعيرني أي اهتمام، ولا يشعرني بوجودي، وكأني كيان منبوذ في هذا البيت، وربما أثاث قديم رمى به في ركنٍ قصي من هذا البيت، نسيه وتجاهله، ولم يعد يثير اهتمامه، ولا يعني له أي قيمة.

كان اعتيادي اليومي هو ممارسة دهشتي به، وحبه دون الاقترب منه حتى لا أثير مخالبه؛ فتتنمر علي وتنهشني، أو يدمي نفوره قلبي، وتخدش كلماته الجارحة روحي، هذا الرجل من نار ووهج كلما اقتربتُ منه احرقني؛ لذلك اكتفيت أن أتدفئ بوهجه عن بعد، تكفيني جمراته التي اكتوي بها، وندبه صاخبة في قلبي ضاجة بالأجيج.

كانت لحظات تواجده في محيطي هي أسعد أوقاتي، أظلُ أتاملُ كل تفاصيله، أتفحصه من أخمصيه حتى ناصيته: إطلالته البهية، هيبته الآسرة، سكناته وحركاته، شروده الطويل، ابتسامته المفاجئة، ثم عبوسه المباغت، ودمعاً يحاصره في حدقتيه، لا أعرف له سبباً، فأشكُ أنني سببه، تواجدي في حياته برمتها هو سبب حزنه وعبوسه وتجهمهُ الدائم والطويل، كم تمنيت أن أراه مبتسماً كما ألفته في ألبوم صوره مع سهاد التي استرقت النظر إليها ذات غفلة؟

هذا الرجل رغم قسوته ونفوره وكرهه لي إلا أنه كبلنيّ بجميع تفاصيله، التي تلتقطها حدقتيَّ بمهارة فائقة، ثم توحي لي تقليدها بإتقان، حتى أفعاله التي يذم نفسه على فعلها تستهوني كثيراً، ريثما يرحل أبحثُ لشغفي عن مخبأ وأقوم بتقليده. يستهويني تقليده في لحظات غيابه؛لأعيش إحساسه، وانتشي بنشوته، التي أقرأها كل يوم في محياه، وهو يتلذذ بإشعال سيجارته، ونفخ رذاذها على اندهاشي به، يغمض إحدى عينيه ويشزرني بالأخرى، بينما أتكوم في ركن يرتجف كارتجاف قلبي من نظراته الناقمة، لكن إيماني العميق به وبكل ما يقوم به- وبأنه لا يقوم بأي فعل محض عبث أو تجريب- كان أقوى من قسوته وشدته وغلظته وفظاظته،كان شغفي به وحبي له أقوى من ارتعابي، وارتجافي، وخوفي، وترقبي، ونفوره واحتجاجه الصامت لوجودي في حياته. وزرعتُ في يقيني أن كل ما يفعله أو يقوم به لائق وحسن مهما كانت مساوئه. احساسي به كان متفرداً.

كنت أمني نفسي وأخدعها بأنه يبادلني الحب نفسه، لكنه لم يعترف لي بذلك البتة، ولم أتلق منه يوماً ما تصريحاً بذلك، ربما يعتقد أن حبه لي سيُفسدني،هكذا كنت أخدع نفسي وأواسيها وأرمم شرخ نفوره في قلبي المتعلقة به. لطالما صمتَ عني كمداً وكرهاً ونفوراً، وصمتُ عنه رهبة وهيبة ومحبة، نسكن البيت نفسه كغريبين جمعهما قدر عاثر لا حظ له، حتى حل ذلك اليوم الذي غير مجرى حياتي وحياته، فكانت المواجهة الكبرى بيني وبينه، ومواجهة القدر الذي جمعني به، ولم يكن لي ذنب فيه ولا جريرة ، ولكنه اتخذ مني خصيمة وشماعة علق عليها جميع خيباته وآلامه ونكباته.

وصل إلى المنزل في ظهيرة ذلك اليوم الصيفي الحارق، وهو يتصببُ عرقاً، توجه إلى غرفته مهرولاً مرتجفاً، تخلص من ملابسه وأسرع نحو دورة المياه ليطفئ جمر جسده الملتهب، خرج بعد أن أطفأ لهيب جسده، وأنا أرقب تحركاته بصمت، ألصقتُ جسدي بالجدار متوارية في مخبئي السري حتى لا يراني، حتى أوشكتُ أن أغوص فيه، كان يلفُ منشفة حول خاصرته، بينما جسده يتصببُ قطراً وارتجافاً، رجَّ شعره يمنة ويسرة، فتطايرت قطرات في الأفق، لتحط على حدقتي التي تلتقط -ككاميرا سرية ذات أبعاد ثلاثة -كل حركة يقوم بها.

تكفلت ضربة الشمس التي تلقاها بإذابة جليد وجهه المتصلب، فردت جبينه المتجهم وأرخت تشنجات عصبيته. توجه نحو غرفته، كان يبدو مسالماً وهو يرتعش ويتأوه، لذا تجاسرتُ وتبعتُ آثار قطراته بجدارة، حسمتُ أمري، وقررتُ أن اقتحم عليه خلوته، تحركتْ خطواتي بهدوء، علنيّ اجتاز الباب الموارب دون أي ضجة، تلصصتُ من شقٍ مفتوح، فرأيتهُ أمام ناظري متكوماً على سريره، بدا لي مرتعشاً يرتعدُ ويضمُ ارتجافه بذراعيه، مرتدياً بجامته الزرقاء التي ترتجف معه أيضاً، تلك البجامة كم أحببتها وكرهتها في الوقت نفسه؟! ولطالما حاولت مراراً في غيابه أن أسدلها على جسدي بعد أن أشتم رائحتهُ الساكنة على امتدادها، لكن لا حظ يحالفني!

حشرتُ جسدي من شق الباب بحذرٍ شديد؛ حتى لا أحدث أي جلبة فيتيقظُ لوجودي، ظللتُ أرقبه عن بعد بأنفاس حذرة، سنحت لي فرصة حاتمية بكرمها الفائض أن أمثل بين يديه، اقتربتُ منه، فتسللتْ رائحة بزته العسكرية المنتصبة بشموخ قائد محنك عبر شهيقي، دنوت منها، دسستُ أنفي بين أطرافها المتدلية، وعبأت رئتيّ برائحته، قبلتها بعمق.

لم يعرني - الأسد الذي طالما خشيتُ من انقضاضه لو علم بدخولي غرفته - هذه اللحظة أي اهتمام. وتوجست بيني وبين نفسي، وجالت مخاوف بمخيلتي، ماذا لو كانت عيناه ترقبان تحركاتي وترصدان كل خطواتي بحسه الأمني الدقيق؟ يا إلهي مجرد التفكير خيالاً بهذا الموضوع يوقف نبضي!

بقدر إحجامه عني ورفضه التحدث معي والبوح لي، ازددتُ تصميماً على أن أصارحهُ بمكنونات نفسي، شددتُ أزر قلبي، واستجمعتُ شجاعتي، اقتربتُ منه وهو متكوم على جنبه، يضع معصمه فوق عينيه، وقد تعالى أنينه وربما شخيره، لم أميز أيهما احتال عليّ به؛ ليوهمني بغرقه في سبات عميق؟

بدا نصف وجهه السفلي ظاهراً، شاربه الممتد بفخامة متكأ على ذقنه قي استمالة رائقة، أما جسده فكان يرتعدُ بين شهيق وزفير.اقتربتُ منه بحذر، بينما قلبي يهدرُ كانهيارٍ جليدي في يوم صيفي حار، وضعتُ كفي عل جبينه الملتهب؛ فتيقظ وارتعد وهو يهذي بأطلال حبه البائد، وينادي على سهاد، أنا لستُ سهاد، ولم ألتقي بها أبداً، لم تكن سهاد موجودة، لكنه كان يهذي باسمها، أيظنني هي؟ ربما..!

والدته أيضاً لم تكن موجودة حينها، لم يكن قربه أحد سواي، وهذيانه المستمر، وحمى تقتاد جسده، وفرصة كليلة قدر مُنحتها لأقترب منه وأشتمُ رائحتهُ وألمسه دون أن يخدش نفوره وتنمره قلبي، ريثما وضعتُ كفي الباردة على جبينه المستعر استرخى وظهرت ملامح الراحة والرضا على وجهه. وضع يده المستعرة فوق كفي المسترخية على جبينه

محاولة إطفاء الحرائق التي تلتهمه، شدَّ على كفي بقوة فضجَ قلبي نابضاً. كان يرتجفُ حمى وذكرى فهمس لي بصوتٍ خفوت:

- سهاد يا نبض القلب أطفئيني فإني أستعر..!

ظللتُ بجواره، أعطيته مسكناً للألم، وخافضاً للحرارة، مرت ساعات خلالها تناوبت بين يديَّ كمدات باردة أضع إحداها وأرفع أخرى حتى هدأ رجيفه، وسكن أجيجه، وخلد لنوم عميق. طويت كل محتويات هذه الغرفة بنظرات فاحصة، هذه الغرفة غير مسموح لي ولوجها البته في وجوده أو حتى في غيابه، لكنني كنتُ أتلصصُ عليها أحياناً من شقٍ موارب عندما يكون غائباً، وها أنا الآن اقتحمها بجراءة، أخيراً تجرأتُ على كل شراسته واقتحمت عرينه.

في غياب والدته تبدو غرفته مبعثرة كغرف الأطفال، هو أيضاً يبدو لي في حالته الآنية كطفلٍ فطيم ألمتْ به عللٌ فهدمته، هذا الماثل أمامي مازال فطيم الحب منذُ سنوات، ولم يبرأ وجعه بعد، تنقلتْ نظراتي بينه وبين متعلقاته المتناثر في أركان الغرفة، هناك في ركن قصي من سريره مكتبه اليتيم وعليه أوراقه المبعثرة، على يمين سريره طاولة خشبية تتربع على مساحتها إطار صورته وهو يحتضن حبيبته سهاد، لعلهُ يغمضُ عينيه عليها كل مساء ويفتحها كل صباح، لقد كان يعشق سهاد حد الثمالة، هذا ما اخبرتني به والدته، ولكنها لم تخبرني أنه يكرهني بقدر حبه لها وأكثر.

وعلى مقربة منه طاولة زجاجية تحتضن بعض متعلقاته: قداحته وعلبة سجائره ومفاتيح سيارته، وبعض أشياء متناثرة لا أعلم سبباً لاحتفاظه بها، لعلها متعلقات تذكرهُ بحبيبته. وأمام كل هذا التناثر تقبعُ خزانة على يسار سريره، تسللت نظراتي من بابها الموارب فرأيتُ ملابساً أنثوية بألوان زاهية، تخصُ حبيبته سهاد، كل شيء هنا يخصُ سهاد حتى هو يعد ملكها الخاص.

التقطتُ قداحته وعلبة سيجارته، فتحتها، أمعنتُ النظر فيها، في حين أسترجعتْ ذاكرتي مراسيم تعاطيه خطوة بخطوة قررتُ أن أتبعها، وأخوض التجربة التي ستجعلني حتماً أشبههُ وأنتمي إليه، هو لا يحبني البته، ولا يعترف بي، ولا يحبُ شيئاً في هذه الحياة سوى سهاد وسجائره، ماذا لو أتقنتُ استجلاب هذا السم اللذيذ كما يفعل وشهقته إلى جوف رئتي؟ لعله حينها يعترف بي ويدنيني منه. أدنيتُ السيجارة من فمي، ألصقتها بأنفي، شممتها، تناولت إحداها، تفحصتها، وقبل أن اجتاز خطوة إشعال القداحة، امتدت يداه نحوي، وأمسك ذراعي بقوة.

التفتُ نحوه والرعبُ يخوضُ في قلبي اعصاراً لا هوادة فيه، ظل يتمعنُ وجهي وكأنه يراه لأول مرة ، انبسطتْ ملامح وجهه المتشنجة، وهمس لي بحنان لم يتفوه به من قبل بتاتاً:

أأنتِ إرثُ سهاد الذي تركتهُ لي ورحلت؟ أم أنك شبيهتها يا معذبتي؟ لماذا تشبهينها وتقلدين أفعالها؟

صمت قلبي برهة ولم أعرف بماذا أجيبهُ؟ وبدون سابق إنذار تغيرتْ ملامحه وهاجتْ موجات غضب على وجهه فصرخ في وجهي محتجاً، مستنكراً، محققاً، ساكباً على رأسي كل اتهاماته:

أنت التي قتلتيها لتنعمي بالحياة بدلاً عنها. ماذا فعلتِ بي وبحبيبتي ؟ لماذا كان مجيئكِ سبباً في رحيلها وعذابي؟ لماذا تشبهينها كل هذا الشبه؟ كيف للقاتل أن يشبه ضحيته؟ أنت أيتها الرَمَس أين سهادي؟ أعيديها لي!

تجاسرتُ بكل ما أوتيت من قهر وحب ودفاع، تجرأتُ وتفجرتُ كبركان ظل خاملاً لسنوات، باكية، محتجة مستنكرة، متوددة، مدافعة، مترافعة عن ذنبٍ لم ارتكبه:

لماذا أسميتني رَمَس؟ هل تظنني قاتلة سهاد لذلك تكرهني بكل طاقات الكره ؟ لماذا تحمل لي كل هذا الكره والحقد والنفور؟ لكنني لا أستطيع أن أبادلك هذا الشعور، لا أستطيع فعل شيء سوى ان أحبك ملء روحي، أحبك كثيراً وكثيراً جداً، أحبك بابا. أنا لست قاتلة، كيف لي أن أقتل سهاد وأنا التي جئت منها، ومنها ومنك صرت ابنتك الوحيدة، لستُ أنا من ارتكب خطيئة سهاد، لستُ من قتلها وحرمك منها، إنه القدر الذي أخذها منكَ وأَعْطَانِيكَ..!

أحببت ملحدا

بشرى الشرع (المغرب)

قام خالد متأخرا كعادته، لم يوقظه إلا منبه الساعة الذي رن عشرات المرات، ضغط على زر الإيقاف ثم فتح عينيه ليجد الساعة تشير إلى السابعة والنصف صباحا، قام مفزوعا من مرقده فقد تأخر عن العمل، ارتدى ملابسه بسرعة ثم أغلق باب منزله وهرول باتجاه سيارته، أدار المحرك مرارا وتكرارا لكنه لا يعمل...

الوقت يداهمه ولم يبق أمامه سوى التنقل عبر الحافلة، وبسرعة فائقة وصل إلى موقف الحافلات انتظر لبضع دقائق، قدمت الحافلة وبمجرد أن فتح بابها حتى بدأ التسابق على الظفر بمقعد، بصعوبة بالغة استطاع أن يخترق حشود الناس المصطفين أمام الباب، وما إن وضع قدميه على متن الحافلة بدأ يحدق بعينيه عن مقعد شاغر، وبعد بحث مطول أخيرا وجده، اتجه إليه ثم جلس وأخذ نفسا عميقا...

صدفة أدار خالد وجهه، فوجد شابة محجبة تجلس بالمقعد المحادي له، كان خدها محمرا وتشد طرف ثوبها بيدها، في الواقع كان التوتر والإحراج باديا عليها...ولتخفي توترها كانت تنظر إلى الاتجاه الآخر، تراقب العالم الخارجي من نافذة الحافلة...

أما خالد عندما أحس بأنها متوترة أراد استفزازها، فظل ينظر إليها مطولا ويبتسم...كان الدم يغلي في عروقها والعرق يتصبب من جبينها، فقررت محادثته، بصوت منخفض وبكلمات متلعثمة قالت له:

- أرجوك هل يمكنك الانسحاب من هذا المقعد؟

نظر إليها باستغراب ثم أجابها:

- أنسحب ولمَ؟ هل هذه الحافلة ملك لك؟ أم لأنك محجبة لا ترغبين أن يجلس قربك شخص أجنبي؟ آه ربما تخافين من أتحرش بك؟ هههههه اطمئني فأنت آخر واحدة قد تثير إعجابي...

استمر في التهكم عليها قائلا:

- آسف سيدتي لن أغادر مكاني وإن كنت لا ترغبين في الجلوس قرب أحد اشتري سيارة خاصة بك...

تملكها غيظ شديد وتمنت أن تصفعه بسبب كلامه المستفز، وقبل أن تنفجر في وجهه، حملت حقيبة يدها ثم انسحبت بهدوء، وما إن وفتح باب الحافلة حتى خرجت مسرعة قبل أن تصل إلى مقر عملها، أما هو فظل في مقعده لم يحرك أي ساكن بل كان يبتسم بسبب الموقف الغريب الذي تعرض له...

ظلت ريم تنتظر الحافلة الموالية، ودمها أحرقه التوتر، بسبب ذلك المتغطرس ستتأخر عن أول يوم لها في العمل كممرضة جديدة بأحد المستشفيات.

مرت ساعة تقريبا، ثم وصلت ريم إلى عملها، دخلت إلى المشفى وهي تلهث، اتكأت على جدار باب مكتب الطبيب مدير المشفى، إلتقطت أنفاسها لبرهة، ثم طرقت باب مكتبه وهي تحمل في يدها ملفا أصفر اللون يحتوي على جميع أوراقها الرسمية...

كانت يداها ترتجفان وهي تطرق الباب، فعقلها مشوش ويبحث عن عذر منطقي تفسر به للمدير سبب تأخرها...

بعد ثلاث طرقات فتح الباب فوجدت المفاجأة، مدير المشفى هو نفسه الشخص المتغطرس الذي كان يجلس قربها في الحافلة، بمجرد أن لمحت وجهه أحست بالذهول، وهو الآخر كانت معالم الدهشة بادية على محياه، نظر إليها وقال:

- أنت مجددا؟ لا تخبريني أنك قدمت شكوى ضدي؟ ههه...

طأطأت ريم رأسها وقالت:

- لا دكتور في الواقع أنا الممرضة الجديدة وهذه أوراقي الرسمية...

قدمت ريم له الملف بيدين مرتجفتين، فابتسم خالد وقال لها:

- ألن تغادري المشفى أيضا لأن به رجالا أجانب؟

أحست ريم بغضب شديد لأنه يكلمها بهذه الطريقة، لكن رغم ذلك التزمت الصمت...

كان خالد يتمحص في وجهها عندما خاطبها قائلا:

- يمكنك أن تباشري العمل منذ اللحظة وأول مهمة لك هي تنظيف أرضية المشفى؟

ابتلعت ريم ريقها ثم قالت:

- أنا أنظف الأرضية ولما؟

بابتسامة ساخرة أجابها:

- أجل ستنظفينها لأنك تأخرت ساعة عن العمل...هيا غيري ملابسك وابدئي التنظيف...مرحبا بك في المشفى...

كادت ريم تموت من شدة الغيظ، ومع ذلك اتجهت إلى الغرفة المخصصة للممرضات، فغيرت ملابسها، ثم بادرت تنظيف المشفى، جميع الموظفين كانوا ينظرون إليها، البعض منهم متعاطفون والبعض الآخر مستهزؤون...

تلك النظرات جعلتها تذرف الدموع، حتى بللت دموعها أرضيت المشفى...

في وقت جد متأخر أنهت ريم عملها، ثم اتجهت إلى منزلها، ألقت بجسدها المرهق فوق السرير ثم غطت في نوم عميق...

في صباح اليوم التالي ذهبت إلى العمل في الوقت المحدد وباشرت عملها...

مضت الأيام بسرعة، وكانت ريم غالبا ما تلتقي بالدكتور خالد، سواء صدفة في رواق المشفى أو يدخلان سوية إلى غرفة العمليات، ودائما كانت ريم تتحاشى محادثته أو الإنفراد به...

وفي يوم من الأيام، عندما كانت ريم تتناول وجبتها الغذائية تحت شجرة بساحة المشفى، رفعت عينيها فوجدت الدكتور خالد متجها نحوها...

كانت نبضات قلبها تتسارع كلما اقترب منها، وعندما لم يعد يفصل بينه وبينها سوى متر واحد وقف وألقى التحية ثم قال:

- السلام عليكم، لما تتناولين غذاءك هنا؟ ألا يتوفر المشفى على مطعم خاص بالموظفين؟

بكلمات مقتضبة أجابته:

- بلى، لكنني أفضل الجلوس وحدي...

استأنف خالد كلامه متهكما:

- آه نسيت أنك من حزب "حجابي عفتي" ولا تحبذين الإختلاط، سأسدي لك نصيحة، أزيحي تلك الخرقة عن رأسك ودعي أشعة الشمس تداعب خصلات شعرك، أنت في سن الزهور وعليك أن تعيشي الحياة ولا تظلي سجينة لأفكار تقليدية لا تسمن ولا تغني من جوع...

احمر وجه ريم، وفي لمح البصر ترجلت من مكانها وأجابته:

- عذرا دكتور خالد، أظن أنك نسيت بأننا في مكان العمل ومهمتنا هي التعاون من أجل علاج المواطنين وإنقاذ حياتهم وليس التدخل في أمور شخصية، ولأصحح معلوماتك، هذا الذي فوق رأسي حجاب وليس خرقة، ثم إنني أعيش الحياة في أبهى صورها ولست بميتة...

كلماتها كانت بمثابة صاعقة، لكن خالد لم يستسلم وواصل مضايقتها:

- صدق من قال "الدين أفيون الشعوب"، آنسة ريم خطابك كان ملهما، لكننك في الحقيقة لا تختلفين عن الأخريات، فيوما ما ستدخلين إلى مكتبي واضعة مساحيق التجميل وترتدين بنطالا ضيقا، وتتمايلين في مشيتك...أنا متأكد أنك يوما ما ستدركين أنه لا وجود لهذه الأفكار التي تعشش في ذهنك وأن كل ما قرأته عن الإسلام وعن مختلف الديانات مجرد زيف لا أكثر...أأخبر بسر؟؟ " الكتب السماوية ووجود الله" أكبر كذبة اخترعتها البشرية، فمنذ ولادتي إلى الآن لم أرى الله في أي مكان ولا في أي صفة؟ فهل حقا الله موجود يا آنسة ريم؟ هههه طبعا ستقولين أجل وقد تسبينني وتسردين على مسامعي عشرات القصص التي تثبت وجود الله، لكن لأختصر الكلام ولأوفر عنك عناء الشرح، أنا ملحد يا آنسة، ولن يقنعني أحد بتغيير معتقداتي...

ترقرت الدموع في عيني ريم، صدمت عندما سمعت الدكتور خالد يقول هذا الكلام الفضيع، فأجابته:

- ما دمت مقتنعا، فلن أغير رأيك، لكن متأكدة أنه يوما ما ستدرك وجود الله بل ستتوسل إليه وتطلب عونه واستجابته، فأتمنى حينها أن يستجيب لك...

انسحبت ريم وهي تبكي، أما خالد فظل واقفا يتأمل كلماتها الغريبة وغير المفهومة...

عادت ريم إلى منزلها، استلقت فوق سريرها وظلت لمدة طويلة تفكر في الدكتور خالد، كانت تتساءل كيف يمكن لشخص ملحد أن يعيش مطمئن البال متصالحا مع نفسه، إلى من يلجأ عندما تداهمه الأحزان وتطوقه المشاكل؟ إلى من يشكي همه فيستمع له دون ملل أو كلل؟ الذي ينكر وجود الله من يشفيه إذا مرض؟؟ من يرزقه إذا جاع؟ من يأتي بالشمس من المشرق؟ من خلق هذا الكون؟

بللت ريم وسادتها بالدموع ثم غطت في النوم، أما خالد فلم يغمض له جفن، أمضى الليل بطوله في شرفته، يرتشف قهوته ويستنشق سجارته، كان محبطا للغاية، يفكر في ريم، تلك الفتاة التي واجهته بقوة وشراسة، ظلت متمسكة بمبادئها ولم تخشى من الرد على تهكمه المتواصل...

في اليوم التالي، تعمد خالد استفزاز ريم، راقبها من نافذة مكتبه فوجدها تجلس في مكانها المعتاد، تأخذ قسطا من الراحة، بعدما تعبت في عملها، فخرج من مكتبه مسرعا، إلتقى بزميلته الدكتوره هناء، فطلب منها مرافقته إلى حديقة المشفى، مر بجانب ريم وهو يمسك يد الدكتورة هناء، يداعبها ويضحكان بصوت مرتفع، بمجرد أن لمحته ريم تمالكت نفسها وأخفت غيظها، ثم أدارت وجهها بالإتجاه المعاكس كي لا يعلم أنها متضايقة...

قطعة الشكولاتة التي كانت تأكلها ريم فجأة أصبح طعمها مالحا، لقد اختلطت بالدموع...

غادرت ريم المشفى على الفور قبل إنهاء دوامها، استقلت سيارة أجرة واتجهت إلى منزلها، طول الطريق كانت تذرف الدموع، جميع الركاب معها يتساءلون عن سبب بكائها، لكنها لا تستطيع إخبار أحد، لأنه ببساطة لن يفهمها أحد، وكيف لهم ذلك؟؟ وهي نفسها عجزت عن تفسير الحالة الهستيرية التي تعيشها...

عندما وصلت ريم إلى منزلها أغلقت باب غرفتها وأجهشت في البكاء، لقد أدركت وفي وقت متأخر أنها وقعت في حب الدكتور خالد، لكن في قرارة نفسها كانت تقول:

- يا إلهي لا يعقل ذلك؟ كيف يمكنني أن أحب شخصا ملحدا؟ لا يستحيل ذلك...يا الله ثبتني أرجوك أعني على نفسي وخلصني من هذه المشاعر القاتلة...

بعدما خارت قواها استلقت فوق سريرها، وغطت في النوم، فلم تستيقظ إلا على نداء والدتها التي أيقضتها لأداء صلاة المغرب...

أما خالد فكان في قمة السعادة، أخيرا أوقع ريم في شباكه، لقد رآها عندما غادرت المشفى وهي غاضبة من تصرفاته، هذا الحدث جعل خالد متحمسا للخروج في نزهة رفقة أصدقائه...

عندما كان خالد يتمشى في الشارع رفقة أصدقائه، عن طريق الصدفة لمح ريم مع شخص آخر، كانت عيناها تتلألأ وهي تمسك بيده وتضع كفها بحنان ورفق على خذه...في تلك اللحظة، كاد يغمى على خالد، انقبض قلبه، وبدأ العرق يتصبب من جبينه...لم يعرف ما الذي دهاه؟؟ فقرر الإعتذار لأصدقائه والمغادرة إلى منزله...

في اليوم الموالي، طلب خالد من ريم القدوم إلى مكتبه، فنفذت طلبه، طرقت الباب ودخلت فوجدته بانتظارها، كان وجهه متجهما وشرارة الغضب تخرج من عينيه، ظل صامة لمدة طويلة وهي واقفة مرتبكة تنتظره أن يخبرها سبب استدعائها، اقترب منها ونظر إليها ثم قال:

- كنت أعرف أنك لا تختلفين عنهن، أنت أيضا حرباء تختبئ وراء ما يسمى بالحجاب، أي حجاب هذا وأنت تضمين أحدهم في الشارع وتضحكين معه؟

سكت خالد لبرهة، ثم واصل تقدمه نحو ريم وأمسك يدها بقوة وقال لها:

- هيا أزيحي هذا القناع ولا تمثلي دور العفيفة لأنه لا يليق بك، ألا يمكنك ملامسة خذي كما فعلت مع ذاك الشخص البارحة؟؟

أفلتت ريم يدها ثم صفعته بقوة على وجهه وبدموع حارقة قالت:

- أنا أشرف من الشرف نفسه، أفضل الموت على أن تلمسني، ذلك الشخص الذي ضممته هو أخي، وهذه الصفعة اعتبرها طلب استقالتي...كنت أعرف أنك ملحد وبلا دين ولا ملة، لكنني تأكدت الآن أنك بلا أخلاق وبلا ضمير...

غادرت ريم مكتبه وهي تبكي، أما هو فظل متجمدا في مكانه، اندهش من تصرفاته الغبية وغيرته الزائدة التي جعلته يفقد ريم للأبد...

طبعا بعد هذا الموقف اختلفت نظرة ريم للدكتور خالد، إلا أن قلبها وللأسف لازال متعلقا به...

ليتخلص خالد من الغضب الذي يتملكه، اتجه إلى الحانة حيث ينتظره صديقه معاذ، وما إن وصل إلى هناك حتى بدأ باحتساء الشراب، رشفة برشفة كأسا بعد كأس إلى أن ثمل، كان يهذي ويقول لصديقه:

- كل هؤلاء الذين في هذه الحانة يدعون أنهم مسلمون، أجل طول الأسبوع مسلمون ويؤدون الصلاة، لكن بمجرد أن تحل ليلة السبت تجدهم مصطفين أمام أبواب الحانات والمقامر، يحتسون الشراب ويزنون، ليستيقظوا صباح الأحد وكأن شيئا لم يحدث يواصلون أكاذيبهم ونفاقهم وادعاءاتهم، أهذا هو الإسلام؟ الإسلام لم يوصِ بالنهب والسرقة وارتكاب المعاصي...أتعلم يا معاذ؟ كل من في هذا البلد ليسو بمسلمين بما فيهم ريم؟ أجل ريم أيضا ليست مسلمة، لأن الإسلام يدعوا إلى الرفق والرحمة وريم لم ترحم قلبي...تلك الغبية لم تعلم أنني أحببتها منذ الوهلة الأولى...لم تجذبها وسامتي...لم تستطع قراءة أعيني، بل غضت البصر...وطبعا لن ترتبط بي، بدعوى أنني ملحد...يالها من غبية؟ الملحد أيضا له قلب...لكنها لا تدرك ذلك....

عندما تيقن معاذ من أن صديقه خالد يهذي وقد يتسبب بمشاكل، سحبه بقوة من ذراعه وأخرجه من الحانة، أدخله إلى سيارته، ورافقه إلى المنزل، لأنه لا يستطيع القيادة بهذه الحالة...

كان معاذ يقود السيارة بسرعة فائقة، ويردد مع خالد كلمات الأغنية المشغلة بصوت مرتفع، موسيقى صاخبة وضحك هستيري، وعقل شبه غائب جعل معاذ يفقد السيطرة على السيارة فارتطمت بعمود كهربائي...

فتح خالد بصعوبة عينيه، فوجد نفسه محتجزا في السيارة التي انقلبت، أدار وجهه، فلمح صديقه معاذ غارقا في دمائه لا يحرك أي ساكن، يبدو أنه فارق الحياة، ذلك المشهد المرعب جعل خالد يصرخ بأعلى صوته طالبا للنجدة، لكن لا أحد يسمعه، الجرح في صدره يؤلمه وينزف بشدة، يحاول الخروج من السيارة لكن دون جدوى، إنه محتجز، في تلك اللحظة بالذات، رفع خالد عينيه إلى السماء فتذكر كلام ريم، عندما أخبرته أنه يوما ما سيناجي الله ويسكون في أمس الحاجة إلى مساعدته، ترقرق الدمع في عيني خالد، وبكلمات متلعثمة قال: يا إلهي أنقذني أرجوك...أتوسل إليك...بعزتك وجلالك ساعدني...

خالد الشخص الملحد لأول مرة يناجي الله بهذه الطريقة، لقد أدرك أخيرا أنه لا منجى ولا ملجأ من الله إلا إليه...لا أحد يسمعه ولا أحد قادر على إنقاده سوى الله...

رد الله كان سريعا، فأرسل له رجلين كانا مارين على نفس الطريق، فأنقدوه، أخرجوه بصعوبة من السيارة ونقلوه إلى المشفى رفقة صديقه معاذ الذي فارق الحياة...

أمضى خالد قرابة شهر في المشفى، فكان ذلك الشهر كافيا له ليعيد ترتيب أفكاره ويخرج من الفوضى التي عاشى فيها لسنوات وهو بعيد عن الله، كان يبكي وبحرقة كلما تذكر أنه كان سيموت دون أن يتوب إلى الله، كيف كان سيلقى الله وهو ثمل؟؟ كيف سيلقى الله بكل تلك الذنوب والمعاصي التي أثقلت كاهله؟؟

عندما خرج خالد من المشفى أصبح شخصا مختلفا تماما، فبعدما أدرك عطف الله ورحمته توطدت علاقته به فأصبح يؤدي صلاته في وقتها وفي الصف الأول بالمسجد، وفي ساعات فراغه يرتل آيات الذكر الحكيم، يتصدق ويساعد الناس...باختصار قلبه المتحجر أصبح لينا...

أما ريم، فهي الأخرى كانت قد بدأت حياة جديدة وفي مشفى آخر، لكنها لم تنسى خالد بل كانت تدعو له دائما بالهداية والصلاح...وأن يعوضها الله بأفضل منه...

ذات يوم، عندما كانت ريم عائدة من العمل لمحت خالد وهو يدخل إلى المسجد، لم تصدق ما رأته، فاتصلت بإحدى زميلاتها بالمشفى السابق الذي كانت تعمل به، سألتها بطريقة غير مباشرة عن الدكتور خالد، فأخبرتها بكل ما حدث في غيابها، وأن خالد أصبح شخصا ملتزما...

كاد قلب ريم يطير من الفرح عندما سمعت الخبر، لكنها في نفس الوقت حزينة، لن تراه مجددا، لن تحدثه، لن تسمع كلماته المستفزة، ففي جميع الأحوال هو شخص أجنبي ولا يحل لها...

عادت ريم إلى منزلها، فاستقبلتها والدتها بابتسامة عريضة، ثم قالت لها:

- هيا جهزي نفسك بسرعة، لدينا ضيوف، أظن أن زفافك سيكون عما قريب، لقد تقدم لخطبتك شاب لطيف ومؤدب...

اندهشت ريم من كلام والدتها، وعوض أن تشعر بالسعادة، أحست بغصة وبحرقة في قلبها، فهي لا طالما تمنت أن ترتبط بخالد الذي أحبته بكل جوارحها...

غيرت ريم ملابسها، واتجهت إلى الصالة، دخلت بخطى متثاقلة وهي مطأطئة الرأس، ألقت التحية وجلست قرب والدتها، بعد برهة رفعت رأسها فوقعت عينها على خالد الذي يجلس أمامها مباشرة، إنه العريس الذي تقدم لخطبتها، كانت ستطير من الفرح، عندما رأته ينظر إليها ويبتسم...أخيرا استجاب الله لدعائها وجمع بينهما في الحلال...

بمجرد أن عقد خالد قرانه بريم، أمسك بيدها وقال:

- أنت الآن حلالي وأنا حلالك فلا تحاولي الهروب مجددا...

ابتسمت ريم وشدت على يده ثم أجابته:

- لا لن أفعلها أبدا...

(النهاية)

عيون تحترف الوجع

د. سامية غشير (الجزائر)

تتوسدّ ذلك الشّارع الغارق في طقوس العذاب عيون تنام على أرصفة النّسيان، تفترش الثّرى وقد احترفت على أهداب العمر حرائقَ من شهب الانهزام الذّي تكدّس في محبرة الدّموع.

هي قصص نبت أشواكها على خرائط ذلك الشّارع، كانت العيون تتوسّد جراحها، وهي تتأمّل بعضها البعض، وتعزف وجع أنينها الذّي كان يغمر الشّارع صخبًا معذبًا.

ذلك الشّارع كان فضاءً تتحاور على صفحاته أحاجي، كانت تذرفها عيون الوحشة وهي ترتحل بهواجس ذكرياتها، تكشف عن الظّلال القاتمة من دفاترَ عمرها، الذّي حبس أنفاسه وهو يلقي بتلك الأرواح إلى مقصلة النّهاية.

دخلت الشّارع لأنجز تقريرًا صحافيًّا حول ظاهرة التشّرد في الشّوارع العربيّة، وصلت إلى المكان، فقد كان مهجورًا، تسكنه تلك الأرواح المهزومة التي عبثت بها أيادي الدّهر.

تقدّمت صوب مجموعة من النّساء وأنا أحمل لهنّ بعض الحلويات في يدي، رحبن بي، فقلت لهن: معكن الآنسة "سعاد" من قناة تلفزيونيّة، جئت لأقدّم تقريرًا صحافيّا حول ظاهرة " التّشرد"، بودّي أن أتلقّى تجاوبًا من حضرتكن، اعرضن قصصكن، وسنحاول أن نساعدكن قدر الإمكان.

لقيت تجاوبًا من بعض النّساء، في حين بعضهن الآخر تردّدن في الظهور إعلاميًّا. نظرت إلى تلك الوجوه البائسة التي بلّت تضاريس ملامحها، ورائحة القهر كانت تنبعث من تلك الأفواه، بدأت في استجوابهن قائلةً: لماذا لجئتنّ إلى فضاء الشّارع؟

- الشّارع هو الملجأ الذّي يحتضن خوالجنا التي ترملت وأرهقتها منافي الصّفعات، هجرتنا أنامل البشر الحانيّة، ممّا ولّد في أروحنا اليتم، فأردنا أن نغذّي عيوننا الجائعة لنسيم الوصال، ورذاذ الفرح، وبهجات الحلم.

- أريد أن أسمع قصّة كلّ واحدة منكن على حدى.

اندلعت مرارة الهجر من تلك الأراوح، واتّسعت لتغطّي مساحات الشّارع، وتلقي بظلال خطاياها على حافة الطّريق، الذّي استسلم لروائح البوح وهي تغرس بساتينه دهشةً ساحرةً من مشاهد حبلى بالذّكريات المبّللة بماء قيح الذّاكرة التي اكتست بدرن الخطيئة.

تقدّمت امرأة في العقد الرّابع من عمرها، تنغرس تجاعيد العذابات في وجهها النّحيل، وحرائق الرّوح التي ارتسمت في كبرياء، وكان فيض المرارة يسيل من مآقي وجعها، وهي تنزف حروفًا من شلّال جراحتها: اسمي "صفاء" حياتي أشبه بالجحيم، كان زئير

الألم يحلّق في صفوتي، مواسم زهوي كانت تعربد في فضاءات يأسي، صارت حياتي مبعثرة كأورق خريفيّة عابرة، حكايتي ابتدأت يوم تزوّجت رجلا غير صالح، مارس عليَّ جميع أشكال العنف والقهر، ذنبي أنّني أنجبت له البنات. كان يعايرني باستمرار بكلمات نابيّة: يا امرأة الشّؤم، يا وجه النّحس. كانت كلماته تقطّع روحي، وتميتني ألف مرّة.

و في يوم مشؤوم أشعل النيران في المنزل، فالتهمت كلّ شيء فيه، وكانت سببًا في وفاة بناتي الثلاث "ريان"، "وفاء"، "غنى"، حياتي أضحت رمادا من بعدهن، اكتويت بلهب الفقدان، زوجي دخل السّجن، أمّا أنا فصرت كالطّريد، لا أملك مكانا أو أحدا ألجأ إليه، فاحتميت بهذا الشّارع، وأشعر بالوحدة والضّياع، ودموع الخيبة ترافقني في رحلتي المشتعلة بالوجع.

كانت تنزف دماء الفاجعة وهي تعرض حكايتها، وعبرات اليتم والوحدة كانت كفيلة لفهم وجعها الذّي امتدّ ليلامس أرخبيل السّماء، فتعزف منه مقطوعات تراجيديّة ساخرة.

شكرتها على تفاعلها الشّديد معي في عرض قصّتها، ثمّ التفت إلى جهة أخرى، فنمت قصّة ثانيّة من رحم مأساويّة الواقع، كانت شابّة في العشرينيّات من عمرها تدعى "جيهان"، فاتنة، تسكر العيون، مسكونة بغبن الفاجعات تحمل في يدها طفلا رضيعا، تكلّمت في حزن شديد: حياتي كانت مأساويّة، مثقلة بأنين الخيبات المتلاحقة، فصول الوجد هجرتني، قصّتي بدأت منذ عامين، كنت مثل معظم الفتيات أمنّي النفس بالعثور على شاب يرسم عالمي قصصا غراميّة عن الحبّ والحنان كقصص "روميو وجولييث" و"قيس وليلى"، إلى أن تعرفت على "فؤاد" الذّي أغرّبي وقذفني إلى نهر الدّناسة، ورفض الاعتراف بطفلي، وهاجر إلى خارج الوطن هربا من المسؤوليّة، طردني أهلي إلى الشّارع؛ لأنّني جلبت لهم العار، فلم أجد غير هذا الشّارع أحتمي به، وأطعم ولدي من صدقات المحتاجين.

آلمتني قصتها التي كشف عن منافيَ الوجع التي تستعمر حياة "جيهان"، وعن كؤوس القهر التي تحتلها كلّ يوم و تروي بها عطشها. كانت تلك القصص التراجيديّة المليئة برنات الوجع والحزن تأخذني لمعانقة الاحتراق، تراءَت أمامي مشاهد من كفن الهجرات التي تصدّعت على جسد الرّياحين المبتورة النّدى، تجلّى أمامي نور شجّي تسربل من غمامات فاجعة الرّوح، تدفّق صوت أمامي يشبه الحرير، وحلم بهي يتبلّل على رقصات عرس الضّياء، رأيت أفانينَ من النّور تطلّ في خنوع من ذلك الشّارع ترعى نبض الصّفوات، ثمّ تمتدّ وتتصاعد حتى تلامس وجه السّماء.

... هناك ستتجلّى نبوءة فتوحات رغباتنا

صهيلُ المُعاناة

سفيان البراق (المغرب)

رغم أنَّ الجميع تقريباً كان يَستبطِئ وصولَ سيارة الإسعاف، ويستنكرُ محتداً هذا التباطؤ، فقد كنتَ أنتَ أيضاً تتأمَّلهم صامِتاً، لا مُستنكِراً ولا ساخِطاً، ورِجلك ممدودةٌ أمامك، لا تقوى على تحريكها، لأنَّك كنت تدري مُسبقاً أنَّ سيارة الإسعاف حتى لو حضرت في الوقت المُناسب، فالطبيب لن يحضر في الوقت المناسب، ولو حضرَ الطبيب في الوقت المناسب، فلن تحضر العدّة، ولو حضرت العدّة في الوقتِ المُناسب، فلن... المهم أنَّك كنت تحدِسُ بفطنتِكَ التي فطرتك عليها، أنَّ حياتك توقَّفت هنا، تماماً في تلك اللَّحظة التي صدمتك فيها تلك الشاحنة المخيفة. كنتَ تحدس بقدرٍ هائل من الألم الممض، أنَّك لنْ يُكتبَ لك السير كما كنت. حتى لو كُتِبَ لك العيشُ طويلاً وسِرت فوق الأرض فلن يتأتى لك ذلك قبل سنة، بعكّازة أو عكَّازتين. المهم أنَّك لن تعودَ ذلك الحصان الذي كنتهُ. تفيقُ في الرابعةِ صباحاً، وتسعى في طلبِ الرزق، فتملأ سوق الجملة بجريك وصراخك، ومشاكستِك، وتملأُ كيسكَ مما جادوا به من خضرٍ وفواكه، وجيبك مما جادوا به من نقود، قبلَ أنْ تعودَ في منتصفِ النهار إلى البيتِ منهكاً.

أخيراً حضرت سيارةُ الإسعاف، تصرخُ وتُولولُ، كما لو كنت أحد أبنائها أو أحد إخوتها، فأفسحَ لها المُتجمهرون الطريق، ومنهم من يأسف ومنهم من يَستنكِر.

وحين وقفَ صاحِباها بجانبك، يَتأهبانِ لحملك، نظرتَ إلى أحذيتهم، وددت لو أنَّهم يتركونك متمدداً كما كنت. كنت قد بدأت تستأنِسُ بالأرض حينَ صدمتك تلك الشاحنة العوراء، صرختَ من الألم كوحشٍ كاسِر اخترقهُ سهمٌ مسموم. صرختَ ثم صمتت متمدداً كميّت، والآن يقتلعونكَ منها، كما اقتلعتك حادثةُ اليوم من جحيمِ يوميك. أخذوك. حملوك إلى السيارة الصفراء، ذات العويل البغيض. حملوك ووضعوك في قلبها وأنتَ صامت، ساروا بك وأنتَ صامت. وحتى حينَ استفسروا عن هويّتك، اكتفيت بالإشارة بسبّابتك إلى حافظةِ أوراقك التي تضعُها عادةً في جيب سروالك، تماماً فوقَ المؤخرة. فلم يكادوا يُخرجوها من جيبك حتى كادَت أنْ تُزهقَ روحك من الألم دون أنْ تنبس. فبِالله عليك: أيُّ بشرٍ أنتْ، وأيُّ كائنٍ أنتْ. أنتَ جدارٌ من إسمنت مُسلَّح بيدينِ ورجلين ورأس. اليوم، اليوم ميلادُك الجديد.

اليوم تبدأُ حياتُك الجديدة. آهٍ. لو أنَّ هيكلَ الموت ذاك أمهلك بعض الوقت. لو أنَّه صدمَكَ بعدَ بِضْعِ سنين، ثلاثٍ أو أربعٍ على الأقل، لكنتَ قدْ أمَّنت لابنتك البكر قُوْتَها حتى تستيطعَ أنْ تعمل، حتى تستطيع أنْ تُعينك على

إمداد جيشك، فيه من يمشي على اثنتين، وفيه من يمشي على أربع. جزاكَ الله شرَّ الجزاء أيُّها السائقُ المَلعون. لقد دست على قلبٍ يَضُخُّ الدماء في أجسادٍ كثيرة، لقد خنقت بيديك أرواحاً كثيرة.

تحاول أنْ تتخيلهم الآن: ها هي أمهم قد أخرجت أغطيتهم وفراشهم لتنشُرها تحت أشعة الشمس، وها هم قد خرجوا للمدرسة أو الكُتَّاب ليدرسوا، بعد أنْ تناولوا إفطارهم. وليس في أذهانهم عنك الآن إلاَّ كونك تعمل، تحملُ السلاسل الثقيلة، وتَنقلها من الشاحنات إلى أماكن البيع. في حين أنَّك مكوّم كالهم الثقيل الذي يعتصِرُ قلبك الآن بإحدى ردهات قسم المُستعجلات بمستشفى لم تعرِفْهُ من قبل. وضعوك، رَموك، لا فرق... المهم أنَّهم نسوك... سمحوا فيك.

يجبُ على الآلام التي تنهشُ جانبك الآن أنْ تستوعِبَ عمليةَ مجيء الطبيب في المستشفياتِ. إن الطبيب هنا، هو كلُّ شيء، رغم أنَّه لنْ يفعلَ شيئاً. فهو لم يأتِ إلاَّ بعد أنْ جاءت زوجتك وابنتك الكُبرى، وجلستا بعد أن بكيتا ما شاءَ لهما سائقُ الشاحنة أنْ تبكيا. ثم دخل مكتبهُ ومكثَ فيه حتى خيّل إليك أنه لم يأتِ بعد، ثم ألقى أوامِرهُ بتهيئك وتخديرك، إلى أنْ وجدتَ نفسكَ ببيتكَ ممدوداً، لا تَقوى على الحركة، والبيتُ من حولك مملوءٌ عن آخره، نسوةٌ هنا ورجالٌ هناك، والصبية الصغار يذرعون البيت جيئةً وذهاباً، ويملأونهُ صراخاً وعويلا. لكنك تنظرُ إلى أبنائك فقط، فأنتَ من اليوم فصاعِداً واحدٌ منهم، وعليهم أنْ يتعودوا على رؤيتك صباحا بجانبهم، كسيراً مقهوراً؛ فأنتَ الآن تملكُ جسدك وروحك، ووقت العالم. أنتَ من اليوم لا حاجةَ بالإسراع في فعلِ شيء وأيُّ شيء؟.

أنتَ الآن آلةٌ مُعطلة، رُميّت بعد طول وسوءِ استخدام. أنتَ الآن، بكبريائك وأنفتِك، تطلبُ من صغيرك بخوفٍ واحترام أن يُساعدك على حلاقةِ ذقنك، بأن يقبض أمامك المرآة الصغيرة التي في بيتك. أمَّا حين تريدُ أن تقضي حاجتك، فتلك مأساة أخرى يعلمُ الله وحدهُ كم أحسست معها بالضُعف والخذلان... وما أكثر مآسيك. كنت تقول لابنك الصغير: "ابتسم للحياةِ تبتسمُ لك". ولكن أنتَ ابتسمتَ لها فرمتك

أوّل يومٍ في السَّكْويلَة[2]

محمد بدازي (المغرب)

"لا حدث يحدث بالفعل إذا لم يُدوّن". فرجينا وولف

... يحضرُني الآن المشهد كأنهُ وَقَع يومَ أمسٍ. في الطّريقِ إلى السّكويلة، أمشي وراءَ جدي امْحمَّد تاركاً بيني وبينهُ مسافة تَفوقُ العشرة أمتار. كنت أحبّ هذه العادة، أن أَتَخَلَّفَ وراء من يُرافِقني في الطريق لأربحَ، من جهةٍ، هامشاً من حريتي، ولأتجنبَ، من جهة أخرى، عقاباً على سلوكٍ قد يكونُ غيرَ لائقٍ. كنتُ، وأنا أمشي، أفعلُ أشياءَ تظهرُ للآخرين مَعيبةً وحقيرةً، رغمَ أنها لم تظهر لي كذلك حتى بعدما كبرت. أتذكرُ أني كنتُ أُحب أن أُطلقَ العِنان لِضُرَاطِي ذا الصوت والرائحة الخاصتين. ضَرْطَةٌ هنا، وأخرى هناك. وكان يستهويني التبولُ سيراً وتَقَفّي أثر بعض الحشرات ورَشّها ببَوْلي الحَامي والحامِض. وفي أحيانٍ أخرى، كانت عادة الرَّش هاته، تطالُ بعض زملاء القسم الذين يَغْفَلون عني ويتركونني خَلْفَهم. بل إن حقارتي، في نظرِ الآخرين طبعا، طالت كائنات أخرى من مخلوقات الله سَاقها القدرُ في طريقي.

عند الاقترابِ من الطريق السّيار الذي يعزلُ السّكويلة عن الدّوار، شرعتُ في الهرولة لألتحقَ بجدّي. بنظرةٍ من عينَيْهِ، فهمتُ القصد ووقفتُ بجانبِهِ بكلّ ما فِيَّ من أَدَبٍ وَرَزَانة كقِردٍ أحسن صاحبُهُ تربيته. تجاوزَنا معا الطّريق ثم توقف الجد. مدّ لي ورقة كُتبِت عليها حروفٌ لم أفهمها، ثم قال:

- ها السَّكْويلة قُدَّامك، سِيرْ تْقْرَا.

عاد الجدُّ أدراجه وبقيتُ أنا تائهاً خائفاً. كيف أدخل هذه السَّكْويلة التي لا أعرفُ فيها أحداً؟ ماذا أقول إذا سألوني عن تأخري عامين في الالتحاق بالدّراسة؟ هل أُجيب أني كنتُ أسرحُ الغنمَ؟ أو أني لم أكن مُسَجَّلاً في الحالةِ المدنية؟ أو أن والدَيَّ مفترقين؟ أو أقول كلّ هذه الأشياء...؟

لقد تِهتُ فعلاً. وضَعُفْت. ولكن لِماذا يتركونني الآن وحدي؟ لماذا جِيء بي إلى هذا العالم أصلاً؟ هكذا قلتُ لي يومَهَا بِصَوتٍ مُوْجُوعٍ. وكانت أول مرة أشعر فيها بالخُذلان، والضّعف، والهون.

[2] كلمة يقصدُ بها أهل القرية –في المغرب- المدرسة. تم تداول الكلمة إبان الاستعمار الفرنسي والإسباني والبرتغالي للمغرب، ونحن نعتقد أن أصل الكلمة جاء من كلمة School.

سِرتُ صَوبَ السّكويلةِ بخطىً مُتَلكئةٍ. بعدَ أول خطوة لي في ساحة السّكويلة، رمقتُ معلمين يقفان عند باب أحد الأقسام. قصدتُهُما، ودون أن أَفُوهَ بكلمةٍ، أعطيتُ الورقة للمعلم الأكبر سنا والأكثر وقارا من المعلمة الواقفة بجانبه. تصفحا معاً الورقة أولا، وتصفحاني ثانيا، وضَحِكا. ثم أشار لي المعلمُ بالدخول إلى القسم الذي سأعرف لاحقا أنه للمعلمة المتعجرفة.

في القسم، أول الأمور التي أثارت انتباهي، جلوس التلاميذ الصغار في أول الصفوف، والذين سأعرف لاحقاً، أنهم، كذلك، النجباء والأقل عَوَزاً فينا. وانتبهتُ إلى عدد الذكور الأكثر من الإناث، وخُلُو القسم من الجميلات، وعدم وجود فرق كبير في السن بيني وبين بعض التلاميذ رغم تخلفي بعامين عن السّن القانوني للتّمدرس... حينما دخلت الأستاذة، وقد أَمْعَنَت في عَجْرَفَتِها هذه المرة، أو كهذا ظهر لي، قصدتني حيثُ أجلس في آخر صفٍ من جهة الباب. وقفت بجانبي دون أن أقدر على النّظر إليها أو أقوم بأي حركة، بل إني تمنيتُ لو يتوقف نَفَسي لبرهةٍ من الزمن حتى لا يُزعجها.

- أين محفظتك؟ قالت المُتَغطرسة.

إلى ذلك الحين، كنتُ أجهلُ اسم الأدوات المدرسية، باستثناء القلم الأكثر شهرة بين الأدوات. أجبتُ وقد أخذ جسدي يسخن ويتعرق.

- إنها هُنا، داخل الكيس.

- يا بَغْل، أنا أسألك عن المحفظة وأنت تقول لي إنها داخل الكيس! من المُفترضِ أن تضع أدواتِك في محفظة بذل هذا الكيس البلاستيكي.

قَهْقهَ زملائي حتى عمّت ضجة داخل القسم. احمرّ وجهي وشعرتُ بحرارةٍ شديدةٍ تلفحُ جسدي. بدأت أتصبب عرقاً من كل النواحي. لحسن الحظ أني لم أتبول يومها في سروالي وإلا كان أول وآخر يومٍ لي في السّكويلة.

- بَغْل آخر ينضاف إلى هذه البِغال.

هكذا تَمْتَمَت المعلمة وأعطتني بظهرها الذي سيكون، إضافةً إلى رائحةِ عطرها، أكبر حوافزي للمجيء إلى المدرسة. على الأقل في سنتي الأولى. انفرج حالي وشعرتُ بارتياحٍ، لكني تأسفتُ على غياب رائحة عطرها الفَوَّاح لمّا كانت تحاصرني مُحاصَرَةَ قطٍّ لفأرٍ مريضٍ.

يااااه، إنها الطّفولة، طفولتي. لكن لِمَ، يا تُرى، يحضرني هذا المشهد الآن؛ في ذكرى مولدي؟ ولِمَ تقترنُ ذكرى مولدي بشعوري هذا؛ حزنٌ، وألمٌ، وقلقٌ، وتيه؟ هل لأني لم أحظى، كما باقي الأطفال، بوجود أبوينِ

يشتريانِ لي ملابسَ العيد، وأعودُ إليهما باكياً حينما يضربُنِي أبناء الجيران.. ويقيمان لي حفلةَ عيدِ الميلادِ تكون غاصةً بالأطفالِ، عامرةً بالفرح؟

في صِباي، لا أتذكر أني نطقتُ كلمة "ماما" أو "مِّي" كما كان يُنادي أطفالُ قريتِنا أمهاتهم. ولم أنطق، كذلك، كلمة "بابا" أو "بّا". لقد أنجباني وافترقا. رحل كل واحد منهما إلى سبيله. أما أنا، أنا الذي يخط هذه الأسطر ويقول عن نفسه أنه كاتب، فقد عشتُ -ولا أزال- التّيه والضّياع والفقر والحرمان. لولا "تعاطف" أهل القرية معي واستغلالهم لي في نفس الوقت، لما صرتُ ما أَنَاهُ الآن، أنا الكاتِب.

آهٍ لو كان بإمكاننا نسيانُ ماضينا. لكن هيهاتٍ هيهات.

بعد لحظة سهوٍ، أو قل، سفرٌ ذهنيٌّ، عدتُ إِليَّ لأجِدَنِي وحيداً في غرفتي. أشعلتُ سيجارةً ونظرتُ أمامي حيثُ الأوراق والأقلام وأشياء أخرى... أطلتُ النظر مُركزا نظري على الأوراق البيضاء. بعد حينٍ لا أذكرُ كم كان، وضعتُ السّيجارة على شَفَا المنفضة بعدما نَفَثُّ بعضاً مِمّا دخل إلى صدري من دُخان، ثم سكبتُ نصفَ الكأس، بجرعةٍ واحدة، في جوفي، وأخذتُ ورقة وقلما وشَرَعْتُ أكتب.

كتبتُ: **أوّل يومٍ في السَّكْويلة ...**

اغتصاب

عبد الهادي شردال (المغرب)

بصوت يغمره الحزن والأسى قالت: اعطيني ماء، تنهدت قليلا وأردفت منتحبة، أريد حيا.. وهو يسحب الدلو من الجب، اهتز كيانه إثر صرخة زلزلة أوتاره، لا أريده، قالت صارخة. فاض أنفه دما، الغريبة تدنو، الشمس في كبد السماء مشتعلة، فرت كل العصافير إلى قيلولتها. عداهما يحتويهما فراغ رهيب يشق سكونه انتحابها وهي تدنو حثيثة الخطى، فاتنة شهية، يغازل جسدها ثوب أبيض اللون، ناصع، كعروس فرت للتو من حفل اغتصابها.

أحمد يصارع يومه، لكسب ما يسد به رمقة، ويدخر ما تبقى لمشروع على الأبواب...

استيقظ مذعورا، جبينه يتصبب عرقا، وأنفه ينزدما، ما إن أماط الملاءة عن جسده حتى راوده شعور غريب، شعور مشوب بالخوف، اقشعر البدن له. وهو يرشق وجهه بالماء، كانت رنات الهاتف تشق صماخ أذنيه، ما لهذا الرعاف يكاد لا ينقطع.. قال متأوها، أخذ منديلا وأردف يوقف النزيف، وحين حاصره راح يذبح في عروقه وخيوط دماغه ألما إلى أن أسقطه أرضا مغما عليه، لكن سرعان ما استفاق يتنهد على وقع أقدام تدنو من الباب، تذكر خطواتها في المنام ليعاوده الكابوس مستيقظا، رشق وجهه بماء بارد، أماط ما علق بأنفه من كدمات، وسارع إلى الهاتف الذي كان قد مل من هتافه، وابتلعه الصمت كأخرس، تفحص الرقم إذا بها نجلاء، عاود الاتصال فلم ترد، عاود مجددا ليجدها قد اختلت بنفسها في غرفتها، وما إن فتحت الخط حتى صرخت ملئ فيها في أذنه التي كاد طبها يخرق قائلة: زوجوني زوجوني غصبا.. قاطعا بدم ساخن سائلا: كيف ومتى؟

- الليلة، الليلة أتى ابن عمي، أخبرت أمي بتهييئك للمجيء وعلم أبي.. قالت وهي تنتحب وتنوح، تنهدت قليلا وأضافت الموت أفضل..

- لن أتنازل عنك ولن أستسلم مهما حصل.

- لم أقبل طبعا يا أحمد، لم أقبل، لكن ما إن لفظت بجوابي حتى غرست عيون أبي في وجهي شزرا، ليقول مزمجرا: ابنتنا لابنكم ملكا شاءت أم أبت، وأضاف أن بعد غد سيكون العقد والأسبوع القادم الحفل، بعد غد يا أحمد سأغتصب على مرآى من القانون، والأسبوع القادم على مرآى من كل الناس، بعد هذا الاغتصاب الذي اغتصبني أبي...

يتنصت أحمد ويصغي لكلمات جارحة تستأذن صماخ أذنه بتمعن دقيق، توقف صوتها لبرهة.. شردا يفكرا في حل ما، ليبتلعهما الصمت قليلا، ثم استأنفت قائلة:

- تذكر بعد غد يسكون العقد، عفوا الاغتصاب.. وأضافت مودعة مع السلامة إن الخادمة حتما خلف الباب تسترق السمع وحتما لن أنفلت من قبضة أبي بعد عودته من الحقول

- انتظري، قال وأضاف لدي حل، هدديهم بالانتحار إن استدعت الضرورة، فقط تهديد وليس بالشكل الجدي سأفكر في الأمر... كانت كلماتها الأخيرة وانقفل الخط.

أخمد أحمد الهاتف في جيبه ليرتدي معطفه قبيل أن يقذف بنفسه خارج البيت.

سارع متجها صوب الحقول، يتفحصها بقعة بقعة، باحثا عن الأب المغمور في ضيعاتها الشاسعة، والتي تغطي قرابة نصف أراضي القرية.. سويعات من الترجل استقصاء والشمس في كبد السماء حارقة تشوي الوجوه شيا، لم يعثر عليه إلا بعد ملل، وكلل طويل والظمأ قد أنهكه...

ألقى أحمد التحية بنبرة مستعطفة وهو يدنو من العم جابر المنغمس في مراقبة العمال، لم يرد طبعا، تعبيرا عن رفضه له، عاود أحمد التحية إلا أن العم جابر رد مزمجرا، صارخا في وجهه قائلا: ابنتنا ليست من سلالة الفقراء، ولن يقع أن تكون، تفحص وجهه الشاحب وأردف: أغرب عن ساحة أسرتي أيها البائس الفقير، عد إلى ساحتك والبس ما يناسبك...

تراجع خطوات إلى الخلف، بحلق طويلا وهو يردد الكلم التي استأذن أذنيه: سكين ذابح، فجأة تذكر وعده لها، ليستجمع قواه من جديد وبنبرة مجروحة قال: يا عم لي عمل ومستقر ماديا، إذا كنت تربط الفقر بالمال، وابنتك تتربع إنساني عيني، حتما لن يصيبها ما يتخبط في ذهنك من فقر إلا إذا شاء مشيء، وصدر يتغلغل مؤججا، ينزف من فرط جرح الكلمات.. آه كم نكون جبناء حين نقرن الفقر بالمال، فالغنى غنى العقل، كم هي قاسية حلبة الحياة، لا سيما قساوة الكلمات التي لا تندمل جراحها ما دام للمجروح ذاكرة تذكره.

استنزف أحمد ما بوسعه من جهد لإقناع الأب، إلا أن هذا الأخير ردعه ردعا فظيعا، حتى يأس ليقفل إلى البيت خائبا.. أخرج الهاتف من معطفه وشرع يكتب الرسالة بأصابع هزيلة مثقلة بالهزيمة " أبوك قلبه صخرة وعقله لا يضاجع سوى أفكار الثراء، ماذا عسانا نفعل الآن ؟" ضغط زر الإرسال وهو يندب حظه ويلوم نفسه على الإخفاق.. انتظر طويلا ولم يتلقى أي رد، اتصل ورغم محاولات عدة ليست هناك أية إجابة، إلى أن قرر الاتصال لآخر مرة فإذا به ينفتح الخط

- ألو من معي ؟

- ألو أين نجلاء ؟

- أحمد أليس كذلك؟ لطالما حكت لي عنك كثيرا

-بلى أحمد، أين نجلاء؟

- لا أخفيك سرا، نجلاء جثة هامدة على سرير لا يفرق بين الموت والحياة، بعدما أقدمت على تناول علبة مسكنات عن آخرها.. وما أن أشرفت أخت نجلاء على إنهاء كلامها حتى انقطع الخط...

أخمد الهاتف في جيبه، وأسرع إلى أول مشفى واقع ببداية المدينة، والأقرب إلى القرية على الأعم.. تفحص رقم الغرفة لدى المستقبلة حال وصوله، توجه صوب جناح المستعجلات، اقترب من الباب راوده هاجس الأب، تغلب على الموقف ودفع بنفسه إلى الداخل

كيف حالها ؟ قال سائلا شاحب الوجه ناضب الريق.. لترد أختها ستكون بخير على حد قول الطبيب.

- نجح الغسيل، ونجت من موت محقق قالت الأم وأردفت هكذا قال الطبيب.

لتنهض إناس من كرسيها قائلة: عليك بالرحيل أبي على وشك الوصول...

- نعم سأرحل، بلغيها خبر مجيئي، ولا تنس إخباري فور استيقاظها قال وهو يهم بالخروج

بعد برهة من رحيله استيقظت نجلاء من موتها تندب وتصرخ: لا أريده، لا أريده، الموت أفضل، لتترك الحاضرين فاغري الفاه متحسرين، إلا أباها يحدق بعينيها معاتبا إياها دون رحمة، رغم كل ما جرى...

وبعد يوم من إفاقتها، سمح الطبيب بمغادرتها، ناصحا باتباع البرنامج الدوائي، لم يكن ثمن العملية بالأمر الهين طبعا، سأل الأب عن المستحقات ليجدها مسبوقة الدفع من مجهول، سأل المسؤول عن الدافع ليرد هذا الأخير

- خذ ابنتك لترتاح فالحساب مدفوع والدافع مجهول... !!

مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ فِي هَذَا العَالَمِ

محمد خضر (مصر)

استيقظَ **الفتى** في تمامِ السابعةِ صباحًا على صوتِ المُنبِّه، أسكتَهُ ثمَّ اعتدلَ جالسًا على السرير. أخذتْ عيناه تُحَمْلِقُ إلى الحائطِ المقابلِ وتُرَكِّزُ النظرَ نحوَ اللا شيء.

نهضَ من فوقِ السريرِ وصلبَ طولَه، وقال:

- **إنه يومُ الحكمِ، يومُ الإنصاف!**

كان الحكمُ قد صدرَ ليلةَ أمس. هو الذي أصدرَ الحكمَ، وهوالمحكومُ عليه. لقد أنصفَ نفسَه بالتأكيد، بعدَ رحلةٍ طويلةٍ من المعاناةِ في هذه الدنيا البائسة.

اتجهَ نحوَ الدُّولابِ وفتحَه وأخذَ ينظرُ بداخلِه، أخرجَ طرحةً ورديةَ اللونِ، نظرَ إليها بعينٍ غَلَبَها الحزنُ، والشوقُ، والحنينُ. وضعَها على وجهِه وظلَّ يشهقُ شهقاتٍ طويلةٍ فتتخللُه رائحةٌ حملتْ في ذَرَّاتِها ليالي العشقِ حينَ كانَ القلبُ حيًّا.

ظلَّ ممسكًا الطرحةَ بيديه ثم عادَ بها إلى السريرِ واستلقى وفرشَها على جسدِه ووجهِه. ظلَّ يشهقُ حنينًا ويزفرُ بكاءً، ويقول:

- **كم أشتاقُ إليكِ حبيبتي! قليلٌ من الوقتِ وألحقُ بك يا حَبَّةَ القلبِ ونورَ العين.**

نهضَ ثانيةً واتجهَ نحوَ الدولاب. أخرجَ فوطةً بيضاءَ جديدةً ووضعَها على كتفِه. دخلَ الحمَّامَ، أضاءَ المصباحَ، وقفَ أمامَ الحوضِ، وحينَ نظرَ في المرآةِ رأى وجهَه شاحبًا مُصْفَرًّا، وشفاهَه بيضاءَ هربتْ منها الدماء، وعينيهِ قد جَفَّ فيهما الماءُ.

أخذَ يضربُ الماءَ بيديه على وجهِه:

- **أخيرًا سأنالُ ما أستحقُّ... حقًّا قدْ صدقَ السيدُ المسيحُ حينَ قالَ مملكتي ليستْ في هذا العالم... وأنا أيضًا مملكتي ليستْ في هذا العالم!**

توضأ وغسلَ شعرَهُ جيدًا ثم أخذَ يجفّفُه بالفوطة. عادَ إلى الغرفةِ، خلعَ ثيابَه كلَّها ولفَّ الطرحةَ الورديةَ حولَ وسطِه ليسترَ عورتَه بالكاد. سترَ عورتَه بحبيبتِه. قال:

- **حتّى بعدَ أَنِ افْتَرَستْكِ مَخَالِبُ الوَحْشِ، ما زِلْتِ يا روحَ الروحِ تسترينني!**

ذهبَ إلى التسريحةِ ووضعَ زيتَ الزيتونِ في شعرِه وأخذَ يدلّكُهُ وهو ينظرُ إلى المرآةِ في فرحةٍ هادئة، ثم بدأَ يصفّفُ شعرَه بعناية.

فاليومُ أهمُّ مَوْعِدٍ وَعَدَهُ في حياتِه، ويجبُ الذهابُ في أحلى هيئة!

أمسكَ قِنّينَةَ العِطْرِ، عِطْرِ حبيبتِه، وظلَّ يرشُّ في الهواءِ مِنْ حولِه وفوقَه ويستنشقُ حلاوةَ الرائحةِ، ثم رشَّ على وجهِه ورقبتِه وجسدِه، ومعَ كلِّ ضغطةٍ يهزُّه حنينٌ إلى المجهولِ أكثرَ فأكثر، كم أَسَرَتْهُ الروائحُ وسَحَرَتْهُ، **والروائحُ أرواح!**

أخذَ يَتَلَفَّتُ حولَه ويفكرُ حتى وقعتْ عيناهُ على صندوقٍ خشبيٍّ مُسْتَقِرٍّ في رُكنٍ من الغرفةِ، ركزَ نظرَه عليهِ وقالَ:

- **هو ذا!**

اتجهَ إلى الصندوقِ وفتحَهُ وأخرجَ منه كُرَةً برتقاليةً تشبه كرةَ السلَّةِ لكنها أكبر، أخذَها وخرجَ بها إلى الصالةِ في خطواتٍ حماسيةٍ تنبئُ بقربِ تنفيذِ الحكمِ، حكمِ البراءةِ من الدنيا!

وضعَ الكرةَ على الأريكةِ، ذهبَ إلى المطبخِ وفتحَ درجًا أخرجَ منه حبلًا سميكًا جدًّا، وقعتْ عيناه على إناءٍ زجاجيٍّ به قهوة، فنظرَ إليها وابتسمَ ابتسامةَ مودِّع:

- **وأنتِ أيضًا سأشتاقُ إليكِ كثيرًا!**

قامَ بتحضيرِ فنجانٍ قهوةٍ وأخذَ الحبلَ ثمَّ خرجَ إلى الصالة. استلقى على الكرسيّ، أشعلَ سيجارةً أخذَ منها نفسًا عميقًا للغاية، ثم رَشَفَ رشفةَ قهوةٍ زفرَ بعدَها دخانَ النفسِ العميق:

- **نعمْ أحبُّكم كثيرًا.. لكنَّ هذا العالمَ أجبرَني على اتخاذِ هذا القرار.**

أمسكَ الحبلَ وأخذَ يعقدُه عُقْدَةَ المشنقة، وكلّما اكتملتِ العُقدةُ، انْفَكَّتْ بداخلِه عُقْدَةٌ. بدأتْ عيناهُ تنهمرُ بالدموعِ في شعورٍ مختلطٍ من فرحةِ اللّحاقِ وحزنِ الفِراقِ.

اكتملتِ العقدةُ، فوقفَ على كرسيٍّ وعَلَّقَ طرفَ الحبلِ بإحكامٍ في خُطّافٍ من الحديدِ بالسقفِ كانَ قد خلعَ النجفةَ منه بالأمس. أحضرَ الكرةَ ووضعَها بين قدميه وهو واقف، ثمّ أمسكَ عقدةَ الإعدامِ بيديه ووقفَ على الكرة، وضعَ رقبتَه داخلَ العقدةِ وما زالَ يمسكُها بيديه، أغمضَ عينَه وبدأَ قلبُه يدقُّ دقاتٍ سريعةٍ ومدوّيةٍ، كانَ يسمعُها بأذنيه.

ظلَّ وقتًا على هذا الوضعِ؛ عيناه مغمضتانِ ودقاتُ قلبِه في صعودٍ، وهو لا يتحركُ كأنه صنمٌ حقيقي.

وفجأةً، سمعَ صوتَ البيانو فلم يبالِ، ثم تكررَ الصوت فانتابتْه دهشة. فتحَ عينَه فوجدَ شبحًا يجلسُ على البيانو هناك في آخرِ الصالة. صرخ:

- **من أنت وماذا تفعل هنا؟!**

وقفَ الشبحُ وأخذَ يقتربُ منه شيئًا فشيئًا وهو يقول:

- **ما الذي تفعلُهُ أنت؟!**
- **أُنَفِّذُ حُكْم براءتي!**
- **براءتُك أم إعدامُك؟!**
- **إعدامي مِنْ هذه الدُّنيا براءة!**
- **أنتَ تكذبُ على نفسِك.**
- **(صارخًا) من أنتَ وماذا تُريدُ؟! اقْتَرِبْ أكثر حتى أراك!**

اقتربَ الشبحُ حتى بدأَ وجهُه يظهرُ شيئًا فشيئًا. هنا انتابَ الفتى ذهولٌ وقالَ:

- **ألستَ....؟!**
- **بلى أنا هو.**
- **(صارخًا بغضب) ألستَ أنتَ مَنْ قالَ مملكتي ليست في هذا العالم؟!**
- **بلى أنا هو.**
- **(بغضبٍ أشد) فماذا تريدُ مني إذًا؟! أنا أيضًا مملكتي ليستْ في هذا العالم!**
- **حسنًا، انزلْ حتى نتكلمُ.**

- **لن أنزلَ، واغرُبْ عن وجهيَ الآن.**

- **انزلْ واعزفْ لي مقطوعةً على البيانو، ثم افعلْ ما شئت!**

- **لن أنزلَ ولن أعزفَ على البيانو، وسوف أنفذُ الحكمَ الآن.**

- **لن تقدرَ!**

أخذَ يصرخُ صرخةً متصلةً كالوحوش، ثم نزلَ من على الكرة، وظلَّ يتخبطُ في أرجاءِ المكانِ كالثَّورِ الهائج. أمسكَ مضربَ بيسبول معلقٍ على الحائطِ، ودارَ في المكانِ يُحَطِّمُ الأشياءَ وهو يصرخُ ويبكي بُكاءً عنيفًا. كانَ البيانو عِشقَه وعِشقَ حبيبتِه.

أحلى لياليهِ قضاها على أنغامِ البيانو في حضرةِ الحُبِّ القدسيِّ ونشوة الاتحاد بالحبيب؛ لذلكَ جاءتْ ضربةُ السيدِ المسيحِ قاضية.

بعدَ فترةٍ من الهياجِ والتحطيمِ والتهشيم، سقطَ في ركنٍ مُتَّخِذًا شكلَ الجنينِ جالسًا، وما زالَ يبكي بكاءً خافتًا متقطعًا كطفلٍ فَقَدَ أُمَّهُ، وعيناه تنظرانِ إلى البيانو. وفي الجهةِ المقابلةِ وقفَ السيدُ المسيحُ بملامحِ وجهٍ داعمة، مشيرًا إلى البيانو بيديه.

نهضَ واتجهَ نحو البيانو، جلسَ على كرسيِّه وأخذَ يمرِّرُ عينَه على لوحةِ المفاتيحِ يمينًا ويسارًا، والدموعُ تتساقطُ على البيانو قطراتٍ متقطعةً بطيئة، وعلى الشفاهِ ابتسامةٌ وديعةٌ تعكسُ الشوقَ اليائسَ من الارتواء.

نقرَ نقرةً بإصبعِه على الدُّو، فتَبِعَتْها الرِّي فالمِي، ثم بقيةُ السُلَّمِ واحدةً بواحدةٍ بخطواتٍ ثقيلةٍ منهكة. وحينَ صعدَ السلمَ ووصلَ إلى قمتِه، بدأَ العزفُ.

استمرَّ يعزفُ وقتًا طويلًا. رأسُه تتمايلُ مع النغماتِ، وتتمايلُ معهما الذكرياتُ، في حضرةِ الحياةِ الحقيقيةِ الأزليةِ الأبدية.

هنا اطمأنَّ السيدُ المسيح، اللَّحْنُ مستمرٌ في التصاعدِ والتطورِ، وحضرةُ الحياةِ مستمرةٌ في الدورانِ بانسجام، فأخذَ يتجهُ ببطءٍ نحوَ بابِ المنزلِ حتى فتحَه وخرج، وقبلَ أنْ يغلقَه نظرَ نظرةً أخيرةً إلى الداخلِ وقال:

- **مملكتي ليست في هذا العالم.**

- خمس محاولات للرقم 500

- عبد الجليل ولد حموية (المغرب)

- سؤال خارج المحاولات:
- كم كان الأمر موجعا؟
- أفسدت السباحة في بحر الذكريات سعادته اللحظية. حصوله على عمل يمكنه من بعض الفتات يخرج به أسرته البسيطة من ظلمات الفقر إلى نور نسبي، يقايض أحلامه بقشة يتمسك بها وسط تيار جارف.
- أول ليلة يقضيها في الشامبري (الغرفة) بعيدا عنها. برد قارس، ضوء العمود في الخارج يكسر ظلمة الغرفة، تصدر النافذة صوتا مزعجا يتحول إلى مواء صاخب يغتصب طبلة أذنه. بعد معركة الوصول، يمني نفسه بفسحة نوم بعدما تخلص اليوم المرهِق من قناع الشمس، السؤال يجد لنفسه مكانا بين أشياء الغرفة الغريبة: هل سيمر الوقت سريعا؟ أم ستتحول الثواني إلى خناجر تغوص في ماضيه عميقا لتخرج منها آلاما قاسية كجلمود بواد صقر؟
- وعاء بلا روح، وحيد كأمنية سلام في حرب ضروس، حافلتين وشاحنة عسكرية بينهما، طوال الطريق بدت له الأمنيات نائمات على خطوطها البيضاء، تتبخر بحرارة الفقد والزفت. سافرت جثته مرتدية كفنا عصريا، ركضت سريعا كعداء مسافات قصيرة بنفسٍ طويل مبتعدة عن كنهها. استنشق بعض مسحوق "التنفيحة" بِخياشيمه، لعله يحصل على استرخاء لحظي وتزول رائحة الاغتراب السابحة في فضاء الغرفة. تاه قليلا خلف أثر عطسة مصطنعة. لم تأت هي الأخرى، كلهن تأمرن عليه في نفس الوقت، ربما تركها أيضا وراءه، شمت نفسه بنفسه، وأردف: «لم أعطس لأنني حمار».
- ماذا حمل معه من زاد في رحلة نحو المجهول؟ جسد فارغ المحتوى، حلم بغدٍ أفضل، بصيص أمل ينقشع بين السحب القاتمة، بدلة مهترئة لركوب أمواج قدر هائج يحمل بين عبابه تسونامي مهول من لكمات الدهر.
- همس لنفسه بحزم: «لا وقت للتشاؤم، القادم أسوأ».
- **المحاولة الأولى:**

- أغمضَ عينيه، نزلت عليه زخات الذكريات كالبَرَد، توشحت أفكاره بالسواد، بدأ الشك يتسلل إلى نفسه: هل اتخذ قرارا سديدا عندما قرر مغادرة يُوتوبياه من أجل كسرة رغيف غسان؟
- «مجبر لا بطل» همس لنفسه مواسيا، «لو خيرتُ مرة أخرى لاخترتُ نفس الطريق، لم أعد قادرا على مشاهدة احتراق ست زهور وكهل، بينما أطاردُ حلما مستحيل التحقق». "العصيدة" يعيش داخلها منذ زمن، ما العيب في إضافة بعض التوابل الحارة؟
- **تعقيب خارج المحاولات:**
- ترك محمد الحياة بكل تفاصيلها لتعيش الأسرة، أذاب أناه، نكر ذاته، معتبرا الأمر لعنة الولادة كذكر وسط فتيات، عقوبة الفوز بالسباق نحو الهنا. هجر رحابة قميصه المريح و بنطاله الجينز الكلاسيكي، حذاءه الرياضي الأنيق، إلى سجن زي عسكري يرتديه بقداسته (تربي)، بقوانينه الملزمة وهالة الاحترام المفروضة على من يرتديه. عليه الانتباه الآن إلى تصرفاته، لم يعد نفس المواطن البسيط الذي يقذف بالآراء هنا وهناك كلاعب بولينغ مبتدئ، عليه التركيز أكثر كي لا يصيب نفسه. «المخزن والعافية ممعاهومش اللعب».
- حذاء ثقيل كقنينة غاز، عليه تلميعه يوميا كشاعر يتغزل بوطن ذابل (بروتكال)، جوارب عوسجِية خشنة، حزام جلدي تفوح منه رائحة جلد الأفعى طرية. قبعة بضوابط تاج ملكي، تنزع بطقوس وترتدى بطقوس. ودع دفء اللحية ليعيش صقيع الحلاقة يوميا بموس رخيص، عليه نسيان ملمس وجهه الرجولي وأن يعتاد على وجهه الجديد الأملس كبطن حامل. حلق شعره الجذاب ومعه لقب «ديكابريو» الذي لطالما أسقط الجميلات، فاسحا المجال للقب المصباح المشع، الذي سيسقط الوصوليات. كل هذا يهون أمام قلقه الوحيد، أن تتحقق رؤى كوابيسه.
- **المحاولة الثانية:**
- تنفس بعمق، شحن قواه الخائرة، أدام النظر في السقف ليتعب عينيه. أصابته لعنة كافكا، شكل عنكبوتاً وهمية، ملامحها كعجوز أنهكتها كلمة "أفٍ"، خلقها بخياله، نسجت العنكبوت شبكتها على الحائط الناصع البياض بجانب جملة كتبها السابقون «نحن الأسود في الوغى». اقتربت من الشُعّ ذبابة تعشق الموسيقى معتقدة أن خيوط الشبكة أوتار كمان، فالتقطتها بنهم، بدأت العنكبوت تتحرك بحركة آلية نحو صيدها، كلما اقتربت تضاعفت دقات قلبه، تسارعت، وتسارعت... قبل الانقضاض بقليل، فجر اللوحة الوهمية قبل انفجار قلبه. عاد توازن دقات قلبه، استأنف نبضاته بطريقته العادية، نبضة فارغة، ونبضة باسمها. نفث

الهواء خارج جسده: الحياة عنكبوت، وأنا ذبابة سقطت في شراكها. يجب عليه تفجير شيء ما ليسمر، ربما أحلامه.

- **المحاولة الثالثة:**

- بدأ الصباح يلج الغرفة من بين فرجات النافذة مثل شيطان يخترق صفوف المصلين، دسّ وجهه المنهك أسفل صنبور مياه، مرغه جيدا ليتأكد من وصول الماء إلى كل جزء فيه، ربما يعيد الماء ضخ الأمل في ملامح جفت، ويطرد الشيطان من وجهه المثلث كبيرمودا. الجمجمة هنا، والكنهُ هناك، لم يتفاجأ بملامحه شاحبة في انعكاس صورته داخل حفنة ماء. عاد إلى قبره هاربا من رقابة صورته.
- انتهى وقت للموت، جف الفراش من الأحلام، بدأت الكائنات تبعث من الأسِرة، بَذر وقته في التفكير وفاته النوم. اعتلت ملامحه تعابير الندم على سماحه للماضي تدمير الحاضر. عليه الاستعداد لأول يوم في الثكنة، نفس روتين فترة التدريب. عليه نسيان الذكريات والاستعداد للمستقبل، لا جديد، فقط اتبع التقاليد العسكرية، حلاقة، تلميع، ارتداء البدلة بسرعة. الفرق هنا، غياب صوت ملائكي يذكره بجمال الصباح، عليه الاعتياد على ذلك أيضا واعتباره "سربيسا".

- **المحاولة الرابعة:**

- تجاهل وجود الآخرين في "الشامبري"، يغلق الحوارات بتجاوزها، اضطربت أفكاره، يريد ولا يريد نسيان الماضي، كيف ينساه وهو ثروته؟
- جالت في ذهنه لحظة الوعد في الغابة «غرفة نومهما». أقسمت بحبها أن تنتظر عودته، وأقسم بحبه أيضا أن تعيش معه طيلة الشهور الستة وألا يخونها حتى في أحلامه. شربا لبنا ليستكملا عملية الوعد المقدس كما جاء في التراث وقبلة عميقة ليختلط اللبن بالرضاب. يقال أن دم أفروديت مشكل من الرضاب واللبن، لذلك لا يمكن أن يخون أحدهما الوعد بعد شرب اللبن. الوعد في ثقافة الهامش دليل على صحة أو زيف الحب. وداخل الصفحة الوعد يقاس بالمبلغ الذي قطعه صاحبه.

- **المحاولة الخامسة:**

- فاجأه جندي يناديه من خارج الغرفة:
- «الشاف محمد 500»
- سلمه رسالة وغادر:
- السلام عليكم، .....أخي محمد لقد تزوجت فاطمة الزهراء...

السوط الناعم

سعيد موزون، (المغرب)

أشم رائحة احتراق قلبي أو..لعلها رائحة الصدأ تفوحُ من قلبي..!

أنا أعلم أنها تعلمُ أنني أرْصُدُها كُلَّ وَجْدٍ من خلف القضبان..أتملأَها من فجوات القضبان الشاحبة مثل فَرْخٍ يختبئ خلف جناحِ بِطْرِيقٍ..ولكنني لستُ فرْخاً، هي تعلمُ ذلك أيضاً، أنا جيفَةٌ عاشقة..أَجَلْ، أنا حُفنةُ لحمٍ قذِرةٌ لم تختَرْ يوماً أن تَحْشُرَ نفسها هنا..لم تختَرْ يوما أن تتواجد هنا (لكنها تستطيبُ هذا التَّواجُدَ الصوفيّ الذي سُقِيَتْهُ بنظرةٍ واحدة، رغم أن الوجْدَ الحاصلَ عن التواجد لا يُعَوَّلُ عليه!)..

عشرون سنةً من الطواف حول الأبواب الموصَدة مثل كلبٍ مقطوعِ الذيل، عشرون سنةً وَأَنْفِي قد تصدَّأَ بالرطوبة ورائحة الجدران والقلوب المتآكلة، والسجائر ورَوَثِ الجرذان والصراصير والفئران..عشرون سنةً وأنا هنا - وكما يقول المدفونون عني هنا- أزهو بعضلاتي المتصدئة مثل فُحُولِ الأفلام الجنسية..! عشرون سنةً منذُ خرجتُ مثل أفعى ثملة مِنْ ضِلْعِ هذه النقوش الهيروغليفية وأنا أَتَآكَلُ مثل هذه الجدران التي تطوقُ قلبي بجدائل من فولاذ..! عشرون سنةً وأنا...

****

(لا تُتْمِمْ أيها الطاعون..!

عشرون سنةً أيتها الجثة الحية، وأنتَ أسيرُ جُبْنِكَ، أسيرُ السوطِ الذي تجلدُ به قلبكَ بيدِك، عشرون سنةً ووجهُكَ وقلبُكَ مثل الطبعةِ المصرية الأولى لألف ليلة وليلة..أَلَمْ أُخْبِرْكَ بهذا مِنْ قبْلُ منذ عشرين خريفا، حتى أصبح وِرْداً منقوشاً في صدركَ الصلدِ أيها الجدارُ الأعمى ..؟!)

****

أجملُ ما أخبرتني به هو قولك لي:" أنتَ أسيرُ جُبْنِكَ، أسيرُ السوط الذي تجلدُ به قلبكَ بيدِك"، كنتُ دائماً أتردد في وصف نفسي بهذا، لكن سَأُصَدِّقُهُ الآن مادام قد نَطَقَ به فمُك البلوريّ..

****

(- ما عزاؤكَ في هذا كله..؟؟)

****

(- ماذا تريدُ أيها السوطُ الأحمق، وقد لَسَعَ سوطُكَ أقدامَنا وقلوبَنا..!!؟؟)

لم أفعلْ! فعلتُ مع قطيع من النساء فقط، فعلتُ مع الآخرين فقط، لكن أنت لا..

* * * *

كيف تعلمُ أني كنتُ أقطرُ ذُلاً أمام هذه العلاجيم التي تجلدني بنظراتها وسوطِ لسانِها الذي لا يرحم..؟ كيف ستعلمُ أني أُساقُ كالبعير لأنحتَ ذُلّي في كل العنابر؟ لقد أَلْهَبْتُ جِلدَ "إلى الأمام" كلها، لكن أنت لم أستطع، وقد دُفِنْتُ أنا أيضاً في قبر الزنزانة لعشرة أيام بسببك، ولما أُخْرِجْتُ منها تحتَ صفعات العقيد وركلاته، عَاوَدَتْني الحياة وأنا آخُذُ مكاني خلف القضبان والمزلاج لأراك، ألمْ تدركي حينها أنك قد سقيْتني بنظرة واحدة، ردّتني إلى الحياة بعدما طال موتي واندحاري..؟؟

(- والصفعة المدوية التي طيّرتْ صوابي ذلك اليوم؟ ماذا عنها..؟)

أؤكد لكم..، تَاللهِ، إنها يدٌ أخرى دَاخِلَ يدي هي مَنْ فَعَل ..!

(- وماذا عنكَ أنتَ وقد شعرتَ بالحبور والتفوق الغبيّ علينا..؟)

أعترفُ أنني يومها كنتُ ضائعاً و..مسلوباً، لكن بعدها تغيّرْتُ، ألا يظهرُ لك ذلك من قلبي الجاحظ؟ ألا يكفيك أنني أصبحتُ فراشةً بروليتارية بعد كلّ هذا الدهر الظالم لك ولي..؟؟

(- هل تعلم أنني أختنق الآن..؟ وأحتاجُ إلى نَفَسٍ عميق أغيبُ فيه، لأنسى وجودك..؟)

لقد أُسْقِطَ في يدي..

البردُ الأهوج والرطوبة الرعناء، ورائحة الصدأ، ورائحةُ بيض الصراصير وعرقُ المدفونين هنا، والصمتُ المطبِق إلا من صرخاتٍ متقطعة هنا وهناك، تترامى إلى الأسماع على طول الدهليز الحالك،..كم يسعني من الهوان لأشرح لك ما لا يُشرح..؟ كم يلزمني من العار لأُقَلِّبَ كل قَلْبِي مثل كروش العيد، لتعلمي أن سوْطي كان ناعما معك في اليوم الأول؟ وبعدها، أَجَلْ..بعدها أصبحتُ أنا هو أنا الحقيقيّ المستخفي في مَحَارٍ أسود.أَلَمْ تَكْفِ عشرون خريفاً بشحمها وعظمها، لتؤكد لك أنني فُسْتُقٌ ناعمٌ ما عليكِ إلا أن تقشّريهِ لِتَرَيْ قلبَ قلبِه الحريريّ كيف يعبدك؟ أَلَمْ أُوصِلْ لك كلّ مناشير المنظمة وكتب ماركس ومَاوْ وتروتسكي الممنوعة هنا..؟ بل حتى كتب الدراويش وأهل الله..؟؟ ألَمْ أُرْبِ لك الطعام والشراب والسجائر عكس الآخرين..؟ ألمْ يَشِمُوا خاصرتي وسرّتي ومؤخّرتي بالسجائر والسّفود اللاَّهب لَمَّا ضبوا لدي"البيان الشيوعي" وقد خَبَّأْتُهُ تحت البذلة لأُسَلِّمَهُ لك..؟؟ هل تريدين أن تعرفي كيف ينزف العُشَّاقُ دَماً..؟كُلُّ مَنْ مَزَّقَ ثوبه مِنْ عشقٍ فقد برئ تماما من كل العيوب..امحي الأوراق إن كنتِ رفيقةً لنا في الدرس فإن علم

العشق لا يوجد فيه كتاب..اعلمي أن دوران الأفلاك مثل موج العشق، ولولا العشق لَتَجَمَّدَ العالم...حالُ الصوفيّ الواصل..الواااااصل..ألا تفهميين...؟؟ إن الحق مرآة نفسي، لأنه هو الذي يتكلم بلساني، أما أنا فقد فنيتُ..ألا تفهميين..؟؟ الوجد العنيف يتلظى في وهج الحميم..لواعجُ الوجد ..العشق..واااو..آآآح..آآآه..ألا تفهميين..؟ العقلُ يقول: لا تخط فليس في الفناء سوى الأشواك، والعشق يقول للعقل: إنكَ أنتَ مستقرُّ هذه الأشواك، فَحَذارِ! اِلْزَمِ الصمت، وانتزعْ مِنْ قَدَمِ القلب شوكة الوجود، وسترى حينذاك في باطنكَ حدائق الْوَرْد..الْوَرْد..الْوَرْد..الْوَ..الْ..ألاااا تفهمي..؟؟

لم أتوقف عن الصراخ والطواف حول نفسي برقصة الدراويش بسرعة خارقة وأنفاس لاهثة، وهي تتأملني من خلف القضبان بعينيْ قطة حائرة، فلما انطفأتُ، وخمد دوراني وغابتْ عيناياَ في سديمٍ عجيب، سقطتُ على الأرض وتناثر لعابي في الدهليز وأنا أُحَمْحِمُ مثل حصان جريح.صَفّقَتْ علي طويلا، ومِعْصَمَا يديْها المحمرّيْن يتعثرانِ بين القُضبان، ثم عَلَّقَتْ هازئةً:

- مسرحية جيدة! ولكن..حَسَناً، صِفْ لي ماذا تريدُ في كلمة..!!
- أنا أَعْشَقُكِ..
- أنتَ جلادٌ يا زروال..!
- قلبُ زروال لا سوْط فيه.
- بعد كل ما حدث، ليس في الزّرْوَاليّين أملس.
- ألا يكفي أنني بفضلكِ أصبحتُ أحبُّ ماركس وشمس التبريزي..؟
- لا يكفي..
- هل أستأصلُ قلبي الجاحظ ليكفي؟!
- كَاتْضْحْكْ على رَاسْكْ آ زروال! أنا لستُ بطلةً مخطوفةً في فيلمٍ هنديّ..!
- قلبي طاحونة هوائيةٌ تَهْدِرُ بِحُبِّكِ..!
- قلبُكَ مجزرةٌ مهجورةٌ تستوطنُها الكلابُ أيها الكلب..!
- ماذا سأفعلُ إذن..؟!
- استأْصِلْنِي منكَ إلى الأبد..!

- إن فعلتُ سيضيعُ العشقُ في قلبي المليء بالضيااااع..أنتِ لا تعرفين العشق، إن تسأليني عنه أقول لكِ: "كوني أنا لتدركي"، وكيف لا تدركين وأنتِ منذ دخلتِ قلبي تحطمتْ فيه كلُّ الأصنام..؟!

لَوَّحَتْ لي بيدها الذابلة، طلبتْ مني الاقتراب منها، دنوتُ مثل جِرْوٍ مُطيعٍ من قضبان الباب الحديدي، ورائحةُ العطر الأنثوي - الذي لم تنلْ منه الرطوبة- تفوحُ منها، فَأُمْعِنُ في الوجد، كانت لحظةً سعيدة..! اقتربتْ أكثر حتى لَصِقَتْ عيناها الجاحظتان بقلبي الجاحظ فَفَتَكَتْ به، ثم قالتْ وابتسامةٌ ساخرةٌ ترتسمُ على شفتيْها اللمياوين، ويدُها تمتدُّ إلى موضع قلبي - الذي أمسكته بشدة- وهي تُربّتُ عليه:

- قلبُك..؟؟ أعجبُ لَكَ، كيف يجتمع في قلبِكَ اللعينِ هذا ماركس وجلال الدين الرومي..؟!
- لم يتوقفْ يوما عن حبكِ يا شمس..

انطلقتُ مهرولاً والشوقُ يبتلعني، ثم شدّتْني من ياقتي مثل هرٍّ تُمسكه من قفاه:

- إلى أين أيها المعتوه..؟؟
- سأذهبُ الآن لأضيفَ حِصّتي منَ العدس واللوبيا إلى حِصّتك.سأحضرهما، وأعود حالاً..

أَمْسَكَتْ ببذلتي العسكرية من خلف فرجات القضبان فَجَرّتْني إليها بقوة، ثم ثبّتَتْ عينيْها في عينيّ، ولَظَاهُمَا يكادُ يعميني، ثم قالتْ مثل لبؤةٍ جائعة وقد مَزَّقَتْ طَرَفاً مِنْ بِذلتي:

- لا أريد طعامَكَ ولا شرابَك..
- ماذا إذن يا شمسَ الشموس..؟
- أريدُكَ أن تُغيّرَ اسمكَ "زروال"، وتغيرَ عنوان قصتكَ المتصدّئة من "السوط الناعم" إلى عنوان آخر: "الجميلة والوحش" مثلاً..

الكـابـوس

هشـام أجران، (المغرب)

- يمشي مثقل الخطوات ، يجول بعينيه فيما حوله في قلق وترقب وحذر...لمح المكان المقصود: "مقهى السعادة" ، ابتسم بمرارة وهو يردد الاسم في نفسه، (السعادة ؟ ما جاء إلا بحثا عنها، أترى تحقق هذه المقهى حلمه؟)...جماعة من الشبان مروا بقربه، كانوا يتحدثون بصوت عال، وتعلو ضحكاتهم، راقته تلك اللكنة، التي تميز سكان الشمال، في حديثهم، والتي تحيل الكلام إلى ما يشبه الغناء. تذكر صديقه التطواني، الذي كان لا يكف عن الحديث، كم كان يروقه أن يجلس ويستمع لحديثه..أو بالأحرى لغنائه.

دلف إلى المقهى، المكان مليء بالرواد، قد غطته سحب الدخان المنبعثة من السجائر ومن "السبسي"، تلك السيجارة المحلية الصنع، والعظيمة الأثر..الجميع هنا يتحدث نفس اللغة: "الكيف"..تحملهم النبتة السحرية لعالم آخر، تتملكهم النشوة، وتأخذهم الأوهام والأطياف والخيالات إلى السعادة..سعادة لحظية، محدودة الزمان والمكان، لكنهم على الأقل يستمتعون ببعض لحظاتها، أما هو...؟ ، جال بعينيه بين الوجوه الضاحكة، والعيون الميتة الفاقدة لأي إحساس. شعر بالخوف، وهو يلمح شخصين ينظران إليه، ميز آثار طعنات في وجههما، بحركة لا إرادية تحسس وجهه بيده، وتمنى لحظتها لو كانت به آثار طعنات، كان مجرد إحساس سخيف..التفت للجانب الأخر، وهناك لمحه..كان يمسك جريدة اسبانية، وبيده الأخرى سيجارة طويلة ينفث دخانها في هدوء ليزيد المكان اختناقا.

تقدم نحوه بخطوات بطيئة، شعر بتوتر مفاجئ يزداد كلما اقترب من الجالس، وبعرق خفيف يغسل جبينه..

- السلام عليكم. قالها بصوت خافت كأنما يخشى أن يسمعه أحد.

أزاح الآخر الجريدة عن عينيه بهدوء، ونظر إليه..نفس العيون الميتة الفاقدة لأي إحساس، ابتسم ، فبدت أسنانه ناصعة البياض ومتناسقة، وتناثرت خصلات بيضاء من شعر اكتسحه الشيب على جبينه العريض. انتظر الآخر أن يرد الجالس تحيته، لكن الرجل ظل صامتا، يدقق النظر فيه..شعر بالارتباك وعيون الأشيب تجول في جسده، بدءا من الرأس إلى أخمص القدمين..

خرجت كلماته بطيئة، وظلت قسماته جامدة وخالية من أي تعبير. Dinero أهلا ، أين؟

لم يفهم الآخر ما قصده، وبدا التساؤل في عينيه، فأشار المتحدث بيده في حركة مفادها أنه يتحدث عن المال، فأدخل يده في جيبه وأخرج ظرفا، تلفت حواليه في توتر واضح، ثم مد يده ببطء ليسلم الظرف للجالس أمامه،

مد الآخر يده في حركة آلية، وبلا مبالاة كمن اعتاد على هذا الأمر، توقفت الأيادي في المنتصف، وتشاركت الأصابع في إمساك الظرف..ندت ابتسامة ساخرة من الرجل الأشيب، وبدا على محيا الشاب الكثير من الرجاء والتوسل، وتوزعت نظراته الحائرة بين الظرف وبين وجه الرجل..غمز هذا الأخير بعينه، وقال بصوت قوي: لا تخف، ثق بي.

عاوده شعور بالراحة وهو يميز تلك اللكنة في حديثه، فتراخت أصابعه عن الظرف، فتحه الآخر بسرعة وبدأ يعد الأوراق بلهفة، انتبه الشاب أن العيون الميتة سلفا تلمع الآن ببريق مميز..انتهى من العد، فرفع رأسه، وابتسم في ود واضح وهو يقول: ستنتظر مع الآخرين، فموعدكم الليلة. ثم صرخ بقوة : (روبيو)..!.

تقدم شاب طويل نحوهما بخطوات رشيقة، ينفث دخان سيجارته في لذة واضحة، يميزه شعره الأصفر وملامحه الأوروبية، وأثر جرح غائر على وجنته اليمنى، تبادل الرجلان كلمات سريعة، لم يستطع أن يتبين شيئا منها..رمقه الأشقر بنظرة حادة وقال له: أهلا.. (هو مغربي إذن، لا داعي للعجب، فقد اجتمعت في هذا البلد الكثير من الغرائب والعجائب، فلم تعد من كثرتها تثير الاستغراب). أشار له بأن يتبعه، نظر نظرة أخيرة للجالس، فواجهته ابتسامة باردة، رد عليها بابتسامة شاحبة. تبع الأشقر في صمت، مرا من دروب ضيقة، وأمام باب خشبي قديم توقفا، فتح (روبيو) الباب ودعاه للدخول، المكان شبه مظلم، دفع برجليه للأمام، فاتضحت الصورة أكثر، عشرات الأجساد مستلقية، جالسة أو واقفة ، ردد بصوت مرتجف: السلام عليكم. ندت عن الأفواه همهمات، ضاقه الأمر، فللمرة الثانية لا يرد على تحيته، في قريته الجميع يردون التحية، تبادل النظرات مع الحاضرين، كانوا ينظرون إليه بارتياب، وسرعان ما يعودون لهمومهم وصمتهم، بدت له العيون حزينة، ميتة، كعيون المدمنين في المقهى، في لحظة تساءل: أيمكن أن تكون عيوني مثلهم، يسكنها الحزن والأسى والموت؟..وكيف لا يحزن، ترك والدته وأخته وحيدتين، ترك أرضه وأصدقاءه، وترك "فاطمة" التي لطالما وجد في حضنها بعض العزاء..ترك حياته، وهاهو اليوم، غريب، ووحيد..

صحا من أفكاره بعد أن لمح جسدا مستلقيا أمامه في إعياء واضح، فتاة؟؟ نطقها في نفسه بدهشة، وتساؤل، لم تكن نائمة، التقت نظراتهما، الشعر الأسود، والعيون العسلية، ترى أين شاهدها من قبل؟..تراءت صور عديدة أمام عينيه، تذكر شيئا، فنظر لرجلها اليمنى، اعوجاج واضح في القدم، يدل على إعاقة مزمنة..نعم، إنها هي، لم يشعر وهو يصيح: نادية !!

ابتسمت في شحوب وقالت: قد عرفتني أخيرا، كيف حالك يا (ابراهيم)؟ لم تتغير كثيرا.

أسرع يصافح زميلته السابقة بالكلية، سألها مستنكرا: ماذا تفعلين هنا؟

خرج صوتها ضعيفا، كأن غصة تمنعها من الكلام: نفس ما جاء بك..رحلة البحث عن السعادة والأمل.عشت أحلاما جميلة عند تخرجي، ظننت أن ميزة التفوق في شهادتي ستفتح لي كل الأبواب، لكن...، صمتت، وشعر (ابراهيم) بقلبه يخفق بقوة، وهو يرى دمعة ترقرقت في عينها، نظرت نحوه وأكملت: رغم أني نلت شهادتي بتفوق، إلا أن جسدي لم يكن له ذلك الشرف..كانت العيون ترميني بسهام قاتلة وهي ترمق العيب في رجلي، وذلك الجواب البائس يتكرر على مسامعي عشرات المرات: "عفوا، لا يمكن قبول طلبك." ، لم تمهلها الدموع أن تكمل، ربت على كتفها في حنان، وشعر هو أيضا برغبة في البكاء، في لحظة تساءل: لم نعيش المآسي؟

دخل رجل لم يتبين ملامحه، بدا صوته قويا وهو يصرخ: هيا، لقد حان الوقت. سرت حركة في الأجساد الجامدة سلفا، ساعدها على النهوض، رنت إليه بنظرة رجاء وقالت: لا تتركني يا (إبراهيم).

ابتسم في وجهها وقال: لا تخافي، فأنا معك.

بدأت الرحلة الشاقة سيرا على الأقدام، تفرقوا عند الخروج من البيت، ومروا من مسالك وعرة، كانت (نادية) تتعثر مرارا، بدت متعبة وغير قادرة على الصمود، فحملها على ظهره، سمع ضحكاتها، تذكر أخته الصغيرة، وشعر ببعض الراحة والأمان..وصلوا للشاطئ، وجدوا الآخرين قد سبقوهم، رياح قوية تثير الرمال فتصفع وجوههم بقوة. صعدوا لقارب صغير، وتكدسوا داخله، جاء الرجل الأشيب، بدا ودودا وهو يخاطبهم: ستنطلقون الآن، مع شروق الشمس ستكونون في الأراضي الاسبانية..لا تنسوا وأنتم تزورون بلدكم بسياراتكم الفارهة أن تجلبوا لي هدايا، فقد فتحت لكم باب السعادة.

شغل أحدهم المحرك..ردد (ابراهيم) في نفسه كلمة الرجل الأخيرة: "السعادة"..هل يمكن فعلا أن يعيشها؟. البحر مخيف، غامض، ويبدو أسود..لم يذكر أنه سبح يوما في بحر، كان يهوى السباحة في نهر بقريته، لم يكن يخاف من الماء، لكن الموج يرعبه..انطلق القارب بسرعة، شعر بيد (نادية) باردة وهي تتمسك به في قوة، دار بين الوجوه فلمح الخوف باديا عليها، رفع بصره للسماء، فكأنما يرى النجوم لأول مرة..حاول أن يعدها، مجرد رغبة سخيفة دارت بخاطره..الموج يكبر، وهديره يزداد صخبا..اهتز القارب بعنف، وصرخت (نادية) وتمسكت به بقوة أكبر..انتفض أحد الراكبين وهو يصرخ: لا أريد الذهاب..عودوا بي إلى البر..سأموت..لا أريد الموت..!!

فكر أن يساعده، لكنه عاجز، فقد كبل الخوف عزيمته وقوته ومعهما جسده، "الموت"، تذكر أباه، كان يوصيه بالأرض، لم يحترم وصية أبيه، ألهذا يعاقب الآن؟.

القارب يتمايل بجنون تحت رحمة الموج الهادر، ارتفع صوت رجل يرتل القرآن بصوت مرتجف، تساءل في حيرة: "لم نتذكر الله في أوقات الشدة فقط؟" انتبه إلى أن الرجل الذي شغل المحرك قد اختفى، تذكر أنه يلبس سترة نجاة، وهم لا يملكون أية وسيلة إنقاذ..موجة كبيرة، تلتها موجة أكبر..وثالثة، وانقلب القارب.

تفرقت الأجساد في اليم الواسع، مهارته في السباحة ساعدته على البقاء فوق الماء رغم قسوة الموج..بين الصرخات المجنونة واليائسة، تذكر (نادية)، حرك رأسه في حركات مجنونة بحثا عنها، وناداها بكل قوة: نادية..نادية..!! شعر بضعف واضح، وبشيء يجذبه نحو الأعماق، لم يعد يستطيع التحمل، فأطلق صرخته الأخيرة: نادي....وابتلع الموج آخر كلماته.

انتفض واقفا، يكاد قلبه يتوقف من قوة خفقانه، وعرق غزير يغسل جسده، حوله أجساد كثيرة كانت مستلقية فنفضت عن عيونها النوم فجأة، نهض أحدهم وتوجه نحوه: مابك يا (ابراهيم)؟ أهو الكابوس المعتاد؟.

حرك رأسه بالإيجاب، وبدا وجهه شاحبا شحوب الموت، ناوله محدثه كأس ماء، ومن آخر الصف، كانت فتاة تتقدم ببطء وهي تعرج، ابتسمت في وجهه وهي تقول: لقد ناديتني مرارا، لم لا تحكي لنا كابوسك؟

تحدث بإعياء واضح: لا أستطيع، لا أتذكر سوى اللحظات الأخيرة، صراخ..غرق..موت..

تعالى صوت من بين الأجساد المنهكة: إنها هراوات الأمس تفعل فعلها الآن فينا، قدرنا أن نعيش الكوابيس في أحلامنا وفي الواقع أيضا. تحسس (ابراهيم) أثر ضربة في ذراعه، شعر بالألم، وتذكر ذلك الرجل ينهال عليه بعصا غليظة وشر الدنيا في عينيه، ذاك الشاب الأشقر في الكابوس، هو نفسه جلاده في الواقع..اقتربت منه (نادية)، ربتت على كتفه وقالت: حاول النوم يا (ابراهيم)، فغدا سيكون طويلا ومتعبا.

تذكر أنهم ومنذ شهر يصيحون ويصرخون ويطالبون بحقهم في الشغل، وتذكر تصرفات رجال الأمن معهم، وعاد ليتحسس أثر الضربة..أحس بصداع حاد من فرط الإجهاد والتوتر، فاستلقى على الأرض..

نظر للنائم قربه، صديقه التطواني، فكر أن يوقظه ليستمتع بحديثه ذي اللكنة الشمالية المميزة..تذكر كلمات (نادية): "غدا موعد جديد.." ، فأغمض عينيه محاولا النوم، ردد في نفسه: " كابوس الأحلام سيكون أهون من كابوس الواقع.."استسلم للنوم، وبدا طيف ابتسامة على شفتيه، وصورة "مقهى السعادة" تطالعه من جديد.

حلم الشقراء

د.فراس ميهوب (سوريا)

انقضَتِ السنوات رتيبة، أيام تشبه أياما، ذات الحرِّ صيفا، ونفس القرِّ شتاء، إلى أن بدت من بين حقول الذرة التي لا نهاية لها.

لم يميز خيوط العرانيس الذهبية عن شعرها الأشقر المنسدل على ظهرها، والساتر لأذنيها، ومعظم طلعتها.

حافية القدمين، نحيلة، طويلة القامة كأنها نخلة بكر.

يسجي بدنها الدريّ رداء أبيض ، مكسر الحواف حتى الركبتين.

يظهر تحت الأكمام المقصوصة بعض ذراعيها، ويدان شفافتان كزجاج مصقول.

وجه يشعُّ كأنه شمسٌ، و قلب ينبض بسفور ضمن الصدر الناهد.

خالها أميرة من الجنِّ، لاحت من كابوس نوري، سطع عليه من عدم، فأبهر عينيه.

اقتربت، نفر الفلاح الفقير، دون سابق إنذار، و بنبرة فرض غالبة، طلبت منه شربة لها، و أن يدعَ النبع مشاعا لوصيفاتها، ولمرافقيها وجيادهم البيض.

سمع صواهلا، قدرَّ العدد بألف ومئة أو مئتين.

رفض الأمر المجحف، فالماء شحَّ في القعر:

- لا أقدر يا سيدتي، من أين يشرب حقل الذرة، والقيظ أقبل دون وجل؟

ردت المرأة بغرابة، أنشدت أغنية قديمة، كان صوتها عذبا، ولكن كلماتها غير مألوفة.

رنَّ صداها في أذنيه، أحسَّ بأنه سمع ذات النغمة قبل أعوام غربت .

تذكَّر الأب والأم، رحلا مع سني الرمض، ما تركا له إلا التراب، وقليلا من أكواز الذرة.

دنت الشقراء أكثر فأكثر، رنت في عينيه بمضاء، وترقبت انكسار مقاومته.

خاف الفلاح، و تحيَّر، تصبب عرقا، زاغ النظر، وتاه عن أكتاف الشبح الوضَّاح:

- لا يكفي الينبوع إلا لسقاية حقلي وبيتين على الحافة، هل أنتم أهل حاضرة نزحت من العطش؟

اغسلوا أيديكم إلى المرافق، وأرجلكم إلى الكعبين، وطهروا رؤوسكم، واشربوا، لكن لا تدعوا الدواب تقترب من معيني الصافي، ولو كانت خيولا مطهمة !

لكن جواب المسكين لم يعجب ذات الوشاح الأزهر، قالت أنه سيندم، وأنها عبرت ألف عام لعين السبب، وفقدت أهلها لأن الفلاحين في الوادي الأخضر رفضوا تزويدهم بالماء.

ستصيب اللعنة كل قريته، وسيخرج في أول نعش إن أبى!

اهتز الأسمر أمام إقدام الحسناء، تأرجح صوتها في أذنيه، تزلزل ما بقي من أشلاء كيانه، فقد جسارته.

هل كانت وهما داعب توق النفس، أم سحرا أصفر لا تدفع سطوته قدرة أنسي؟

تراجع خطوتين نحو النبع، ليعطي الشقراء ما أمرت، واختفى في الديجور، طالت غيبته.

شعرت الصبية بكدر غامض، ندمت لقسوتها معه، ولأنها بثت الذعر في جوفه و ناظريه.

تأملت وراءها، استبطأت قومها، بدأت تطرح أسئلة دون جواب.

ماذا حدث للشاب، هل زلَّت قدماه في عنق النبع، وسقط في العمق، أو قضى عند السطح من الرعب، أم هرب بعيدا، و بان عن الأرض الطيبة إلى النجد؟

ندمت حتى شاب الشعر، وتجعَّد، واسودَّ الملبس، وتشقَّق.

مالت صوب السلسبيل، كان يفيض بغزارة، ويغرق أرض الذرة، نهلت بكفيها، غسلت رأسها والثوب، اصفرَّ الشعر ثانية، وعاد اللون بديعا.

شربت أكثر، تغيَّر طعم الماء، صار غريبا، نظرت حولها، ما وجدت أحدا، ارتعدت، نسيت، ارتعبت، كانت وحيدة بلا قوم أو سند، ارتجفت.

أين الفتى، هل كان ظنا غزا العقل، عجزت، من هي أصلا، من أين أتت، وإلى أين كانت ذاهبة؟

في ذاك الوقت، نفس حزيران اللاهب، اقترب رعاة عطاش، رأوا من بعيد واحة مورقة، حثوا الخطا إلى مصدر الفرات، جلجلت صيحات الحماس، لكن صوتا هامسا نبههم: "مهلا، قد تجدون بدل الحلم سرابا"!

طعام الأثيم

رشا مصطفى (مصر)

لا أعلم كيف حدث هذا ..؟ هل كان إثمه يستحق كل هذا العقاب ؟ هل ضاقت الأرض بما رحبت فلم يجد فيها قلباً واحداً يحنو عليه ؟!

يا إلهي أكاد اختنق كلما تذكرت هول ذلك المشهد، تحاصرني التساؤلات من كل حدب وصوب، تتكرر بلا هوادة ماذا لو كنت مكانه ؟! ماذا كنت سافعل حينها ؟

حقيقة لا أدري .. ربما فعلت الشئ نفسه وربما صرخت بوجوه أولئك الحمقي ورددت لهم الصاع صاعين وربما استسلمت لواقعي المؤلم دون أدني مقاومة ربما .. وربما.. ؟

حقاً لا أدري ولا أجيد التنبؤ بشئ ولكني أعلم علم اليقين ان ما فعله" محمد" لم ينتج من فراغ

علي ذاك الجدار، أنتصبت شهادة أنيقة يحتضنها برواز جميل، هي شهادة التخرّج التي حرص " محمد " علي الاعتزاز بها وكان فرحاً فرحة غامرة عندما حصل عليها، لقد كان شاباً طموحاً لم يستسلم لظروفه البائسة وإمكانيات أسرته المحدودة بل ناضل وقاوم تلك العقبات وكان سعيدا لحصوله علي هذه الشهادة بعدما تحقق حلمه أخيراً وتخرّج .

لم يكن يدري أن سعادته لن تدم طويلاً، لم يكن يدري أن مصدر سعادته الوحيد سيتحول في القريب العاجل لمصدر شقاء وتعاسة!

بدأ " محمد " رحلة البحث عن وظيفة تؤهله علي الإستمرار في الحياة وتساعده علي رد جميل أسرته التي ضحت بالغالي والنفيس في سبيله ولكن القدر لم يسعفه حتي شهادته التي طالما اعتز بها لم تشفع له لدي أصحاب المؤسسات والشركات، ولكنه لم ييأس وظل يبحث في كل مكان ويترقب شمس الأمل عساها تشرق له من جديد، قدم أوراقه وشهاداته لأكثر من جهة ولكن دون جدوى

مرت عليه شهور عجاف، حاول خلالها جاهداً الحصول علي عمل يجعل الفخر حليفاً لأبويه بين الجيران ولكن دون جدوي، كل الأبواب توصد أمام عزيمته، شعر بالإحباط وهشّت إرادته، فجلس في غرفته ينظر شارداً إلي الشهادة المنتصبة أمامه علي الجدار، يفكر علَّه يجد حلاً، رأودته في بادئ الأمر فكرة السفر إلي الخارج، لا سيما والكثيرون من أبناء وطنه قد سافروا بعد أن شحّت بهم الأرزاق وضاقت بهم السُبل فهاجر من هاجر وبقي من بقي ولكل واحد منهم أسبابه وحوافزه الخاصة ولكنه سرعان ما أستبعد هذا الإحتمال لانه لا يمتلك المال الكافي لهذا، كما أن والديه

بحاجة إلي رعايته بعد أن تقدم بهم السن وبلغ بهم الكِبر عِتياً منّ سيرعاهم في غيابه ؟ ومنّ يعتني بهم؟ وقد أصبح الكل اليوم في شأنٍ يغنيه عن الأخر، يُغنيه عن جاره وعن أخيه بل وعن امه وأبيه ايضاً..!

وبعد تفكير طويل لم يجد أمامه سوي البقاء في بلدته التي لا يمتلك فيها ناقة ولا جمل، لا وظيفة ولا عمل، فماذا عساه أن يفعل يا تُري .. ؟

وكعادته شاباً طموحا متحدٍ للعقبات، حاول أن يرسم الملامح الأولي لمستقبله المهني فلم يجد أمامه سوي فكرة واحدة وهي: أن يستأجر عربة صغيرة ليبيع عليها الخُضر والفاكهة ويكتسب رزقه بكرامة وشرف ورغم أنه كان يطمح في شئ أكبر من هذا إلا أنه بدا متقبلاً للفكرة فهو مضطر،ليس بيده حيلة أخري، أقنع نفسه أن العمل عبادة وأنه لا يوجد عيب في أي عمل طالما كان شريفاً

وبالفعل قام " محمد " باستئجار عربة صغيرة ليبيع عليها الخضروات والفاكهة، ويجني قوت يومه بيده دون مساعدة من حكومة بلاده التي ألقت بزمام أمره ولم تعبء بمصيره ومصير الآلاف مثله من أرباب الشهادات!

وذات يوم خرج "محمد" لينتشر في الأرض ويبتغي من فضل الله، حمّل بضاعته علي العربة وأخذ يتجول في شوارع المدينة، في تلك المدينة الهادئة التي رسمت الطبيعة معالمها وتضاريسها بعناية شديدة وكأنها لوحة لفنان بارع ،حيث تصطف الأشجار الخضراء علي جانبي الطريق والناس يسيرون في الشوارع تعلو وجوههم ابتسامة دافئة، كل شئ بدا يومها متناسقاً جميلاً، خرج محمد يبيع الخضر والفاكهة لسكانها ، فاعترضت طريقه سلطات البلدية ومنعته من البيع والشراء بل والأدهى من ذلك أنهم قاموا بمصادرة عربته طوق نجاته الوحيد من الفقر والعوز، حاول الشاب أن يمتص غضبه ويتفاهم معهم وطلب منهم أن يتركوا عربته، أن يمنحوه فرصة، أن يعطوه رخصة لمزاولة هذا النشاط المحدود ولكنهم تعنتوا أكثر فأكثر، ومازادهم توسله إلا كِبراً وغرور، وبين شد وجذب فوجئ بصفعة قوية من إحدي الشرطيات هوت علي خده وهوت معها كرامته!

شعر الشاب بالاهانة الشديدة وتجمعت كل مشاعر القهر والظلم في عينيه، اندفعت الدماء في شرايينه كالسيل واحمّر وجهه ولكنه ظل متماسكاً رغم كل شئ، صمم أن يأخذ حقه بالقانون، لم يقابل فعل الشرطية الوحشي والهمجي بفعل مماثل وإنما قرر التوجه إلي سلطات المحافظة ومعه عدد من الباعة الذين شهدوا الواقعة ويتقدم بشكوي ضد هذه الشرطية، وحتماً قانون بلاده سينصفه -لم يكن يدري أن بعض القوانين خُلقت لتحمي الظلم نفسه وتدافع عن أربابه-حيث تلقي هناك الصفعة الكبري التي قضت علي ما تبقي من آدميته المجروحة وكرامته المبعثرة عندما رفضت السلطات قبول شكواه .

خرج محمد كالثور الهائج، امتلأ صدره بالغضب والقهر والكره في آنٍ واحد، فلم يجد ما يطفئ لهيب صدره سوي اللهب نفسه .!

"نعم، أحياناً تكون النار أرحم بنا من قلوب بعض البشر، يصبح لهيبها أبرد من مكعبات الثلج إذا ما قُورن بلهيب الظلم والقهر والخذلان"

لقد قام بالثأر لنفسه من نفسه، هذه النفس الامّارة بالسوء التي سوّلت له أن يتعلم ويكافح ليجد لقمة عيش حلال وسط أُناس لا يعرفون عن الحلال شيئاً، أضرم النار في جسده ليواري سوءة كرامته المُنتهَكَة

لم أرَ مشهداً كهذا طيلة إقامتي بتلك المدينة، رأيته عندما أضرم النار في جسده ، وقد تجمع حوله سكان البلدة وعدد من أفراد الأمن، كاد قلبي ان يتوقف هلعاً من هول المشهد، رأيتني ابكي بحُرقة شديدة وبصوت مبحوح تساءلت كيف حدث هذا .. ؟!

تمنيت أن يكون ما رأيته خيالا أو حلم مزعج ولكنها الحقيقة ببشاعتها لقد توفي "البوعزيزي " بعد صراع مرير مع البلد مات متاثراًٌ بحروقه البالغة غير أن روحه قد فارقته قبل هذا بكثير، فارقت جسده منذ ذلك اليوم متأثرة بجراح الخيبة والقهر والخذلان، وفي نفس المدينة التي شهدت من قبل مراسم مولده و تخرّجه، خرج سكانها من كل فج عميق يُشيعون جنازته، يبكون ويلطمون وجوههم حزناً عليه وخوفاً من أيام أخري آتية لن تحصد سوي الزهر ولن تبقي سوي الشوك، يعلمون أن محمد قد رحل بعد أن جسد لهم مثال حي للحرية والكرامة الإنسانية لكنهم يدركون أيضاً أن هناك الآلاف مثله ممّن يستميتون كل يوم لأجل بضعة دنانير يعودون بها آخر النهار، لأجل لقمة عيشٍ لطفل يتضور جوعاً، لأجل دواء لشيخ مُسن يتألم وجعاً لأجل مأوي لمتشرد يفترش الرصيف سكناً يستميتون لأجل حياة ليس لهم فيها حول ولا قوة، حياة لا يجدون فيها سوي الهباء !

قصة حب بين رسالتين

عبد الرحمان (زوري)

هناك حظوظ في الحياة وهنالك أخطاء، الكل في سلة اسمها الحياة ولا يهم ما التالي. العديد من الأشخاص لا يعبرون عن ما بداخلهم في الحين.. إلا أن يتسنى لهم العكس ويمضي الوقت فيكتشفون متأخرين انه قد فات الاوان على ذلك. بل هو الزمان الوحيد القادر على شفاء الجراح، أناس تغدوا واخرى تعود. انه الحب القابع بين شفتين غير قادر على النطق.. انه منطق غير عادل على لسان الكثير ممن اخطأوا التقدير.

بدأت القصة في قرية اسمها "وادي الجنة" في أرض من بلدان "اسكندنافيا"، أهلها طيبون والأهم أنهم لا يبخلون بالابتسامة في وجه الغريب والضيف والعابر لقريتهم زائرا غير مقيم. وبجانب القرية يمر نهر عذبة مياهه، في جنباته حقول زرع وفواكه وخضار...

من سكان القرية كان يقطن مزارع شاب اسمه ' إفريل ' يملك أحد الحقول المجاورة لنهر، وكان سعيدا للغاية بما يملك من ماء وفير ولون الخضرة الذي يشبع عطش نظره للجمال.

على رأس كل أسبوع كان الفتى المدعو ' إفريل' يكتب رسالة الى من أحب، كانت فتاة جميلة تدعى 'إفانيس' حلت ضيفا على قريتهم من مدة ليست بطويلة وتتقاسم السكن مع جدتها في كوخ صغير، فالجدة من السكان الأصلين. إلا أنَّ ' إفريل لم يكن يرسل لها تلك الرسائل خوفا من ردة فعلها، وكان يحتفظ بهذه الاخيرة لنفسه، كانت مسألة جرأة فحسب، ولم يتكبد عناء المحاولة التي تستوجب بعضا من المغامرة والشجاعة.

لكن الفتاة رغم النظرات والتلميحات المتكررة التي يرسلها 'إفريل' إليها كل يوم عن بُعْد، لم تكن لها فائدة هي الأخرى.. بل ولم تُعِرْ الفتاة اهتماما له ولنظراته، إنه الجفاء القابع وراء كل قصة حب غير تقليدية، انه المصير المليء بآمال وأحلام زائفة لا تنتهي... انه العشق المدفون بين أسطر وكلمات ورسائل تتأسف لكاتبها... الحب هو أصل كل قصة ورواية وحكاية... لكن ليس أي رسالة.

في نفس الوقت والغريب! أن ' إفريل' كان يتلقى رسائلا من فتاة تدعى صوفيا، كانت تُكِنُ له حبا كبيرا، وذلك ما عبرت عنه بكلمات.. إنه مقدار الشجاعة الكافي، لكونها صارحته بما صدق قلبها. وهي تقطن في نفس القرية غير بعيدة عن مسكنه أرادت بحبها ذاك أن تقترب منه أكثر فأكثر، لكن القدر والحياة والأيام والظروف... لها شأن و رأي آخر. في

الظاهر الكل يعقد الأمور.. وسؤال وحيد يُطرح: لمَ كل هذا العناء؟ وما كان عاديا أن تلك الرسائل والمشاعر الموجهة إلى 'إفريل' لم تحظى باهتمامه وكان يتعامل مع الفتاة المغرمة به كما كانت تتعامل معه 'إفانيس'.

وظل كل شيء معلقاً إلى أجل غير معروف! إنه الحب المنهك الذي تسلل الى الأماكن الخاطئة صدفة، لكنه لم يتسلل الى القلوب إلا من طرف واحد... إنها مفارقات الحياة العجيبة، وطبيعة البشر!

'إفانيس' كانت حسناءً وجميلة للغاية، والفتاة صوفيا لم تكن بقدر وسامة 'إفريل' إنها حلقة مفرغة لا تكتمل، إنها الصورة الخيالية المخفية بين طيات وملامح البشر.

قد هان حب الفتاة صوفيا لإفريل ولم يعنِ له شيئا، لكنه لم يتعمد التجاهل ولم يكن يستمتع بذلك، إلا أنه لم يسيطر على مشاعره أيضا ولم يكن بمقدوره أن يزيح تفكيره عن من سلبته عقله... إنها 'إفانيس' الوافدة الجديدة.. وللأسف هذه الأخيرة لم تستغل الكرم والابتسامة العريضة على وجوه أهل القرية كونها لم تكن تنظر في أعين الناس بالكاد هي مشية خفيفة الظل.. ثم تمر بالقرب منهم دون أن تلقي التحية حتى!!. فما هو سر كل تلك الغرابة؟، إنه عنوان صغير لسر كبير.

ومضت الأيام على ذلك الحال و'إفانيس' لا تريد أن تصافح أحدا أو تخالط الناس أو تتحدث عن ما يؤرقها فعلا في هذه الحياة. وفي مسار لا يتغير من الكوخ إلى النهر.. ظل الحزن يخيم على الضفاف كلما همت اليها تروي عطش أحزانها، وذلك ما كان يبدوا على ملامحها و 'إفريل' يراقبها من بعيد ومن وسط الحقل يمسح عرق الجهد والعمل، وهي تلاحظ أنه يراقبها.. لكنها لم تكن تظن أنه يحتفظ لها بمشاعر كبيرة.

فلطالما حلم الفتى المزارع 'إفريل' المعروف في القرية بجده في العمل أن يجتمع مع أجمل فتاة قد لمحتها عيناه يوما.

'إفانيس' في نظر جميع سكان القرية هي تلك الفتاة الفقيرة والبسيطة التي لا تملك مما يميزها عن البقية سوى سلة بها بعض الفواكه التي تقطفها من الحديقة الخاصة بجدتها.. ونهر تجلس بجانبه تتأمل فيه لساعات وهي تخفي ملامح وجهها وثنايا جسمها وراء ثياب قديمة، مهترئة وبالية وفضفاضة طوال الوقت، وكانت تعتمر قبعة كبيرة الحجم ثم تحني رأسها ماشية نحو النهر بخطوات متثاقلة كل يوم.. وتقضي في جنباته ساعات طوال.

فلم يعلم 'إفريل' سر تلك المشية وذلك الشرود والنفور وعدم الاكتراث للأشياء وللأشخاص من حولها... انه غموض تابعه 'إفريل' عن قرب وهو يعمل بحقله الذي كان على ضفاف النهر... وكان قريبا جدا من ذلك المكان الذي

كانت 'إفانيس' تتردد عليه كل مرة وهي تتكئُ على جدع شجرة وتفترش العشب الطري والهش، والأغصان الممتدة وأوراقها تمدها بظل بارد.. وصوت المياه وخريره يجري ويسقي الحقول.

في يوم خريفي جميل وقبل غروب الشمس بقليل... بجانب النهر 'إفانيس' كعادتها جالسة في صمت وبجانبها سلتها التي اخرجت منها قلما و ورقة وقارورة من زجاج شفافة وبدأت بالكتابة... و 'إفريل' يراقبها عن بُعْد ويشاهد كيف ابتسمت للبداية وكيف ذرفت بعض الدمع على النهاية وألقت بالقارورة في النهر بعد أن وضعت فيها الرسالة... ثم غادرت.

لكن 'إفريل' أبى أن يقاوم الفضول بعد مغادرتها... ولحق بالقارورة وهو يركض في خط مستقيم والماء يطفوا بها، وعندما اقترب منها قفز في النهر وأخرجها ليكشف بعض من ذلك الغموض... لكنه عندما أخرج الورقة لقراءتها، لم يزده ذلك الى حيرة مضاعفة حين وجد أن الرسالة مشفرة ومكتوبة برموز وكلمات غير مفهومة. فقصد المدينة في اليوم الموالي متجها عند صديق له يمتلك مكتبة كبيرة ولديه شغف القراءة والاطلاع على كل جديد له علاقة بالأدب والكتابة... لكن هذا الأخير لم يستطع بدوره فك رموز الرسالة، فأرسله بدوره الى صديق له قائلا :« هذا عنوان صديقي الذي يجيد فك لغز مثل هذه الأمور...»

فقصد 'إفريل' صديق صديقه الذي لم يتمكن هو أيضا من فك رموزها واعتذر له، وما كان بوسعه سوى أن يدله عن صديق أكثر خبرة منه في هذه الأمور، فأصبح 'إفريل' يجوب البلاد على أمل كشف سر تلك الرسالة... ولمدة ثلاثة أشهر قطع مسافة طويلة وهو ينتقل من شخص لآخر، إلى أن فقد الأمل وقرر العودة وأفكار عديدة تصب نحو مخيلته.

وحين استسلم عائدا إلى قريته الصغيرة... صادف في طريقه امرأة عجوزا سألته بعض الطعام فأمدها وحكى لها عن قصته، فعرضت عليه قراءتها لعلها تتمكن من القيام بما لم يستطع الكثير القيام به قبلها... فشك 'إفريل' أنها تستطيع، إلا أنها فاجأته وقرأت عليه وهو يسمع. " الرسالة جاءت كالتالي" :

« اسمي 'إفانيس' كنت في الماضي مغرورة بجمالي وكنت استمتع بألم من كان يحبني وأنا لا أبالي!. لم أبالِ بمشاعره يوما لأن همي الوحيد كان تغير والابداع في مشيتي وخطواتي الأنيقة، ولطالما أفصح لي عن حبه اتجاهي... لكن قسوة قلبي جعلته يعرف معنى خيبة الأمل التي أنزلت الدمع من عينيه، وكان بإمكاني حينها أن اواسيه ولو بكلمة قد تطفئ النار بقلبه. ولم أعرف بحق كل هذا إلا عندما أطاح بي المرض وحينها لم ينفعني جمالي... مرض جعلني أستعيد كل كلمة قالها لي. أنا الآن مهددة بالموت في أي لحظة من جراء تعويذة نادرة من وحي الخيال، ودوائي هو مجيئ أحدهم فيعترف

لي بحبه الصادق اتجاهي. أنا الآن بعيدة تمام البعد عن من أحبني بصدق في الماضي، وأنا من أدرت ظهري سلفا. وعندما ذهبت للبحث عنه في منزله لأحكي له عن ما أصابني، اكتشفت أنني تأخرت كثيرا وقد غادر الحياة قبلي، وترك رسالة على مكتبه في منزله المهجور يقول فيها " إنه أصيب بتعويذة جعلته يبحث عن من أحبته سابقا لكنه تفاجأ أنها ماتت قبل وصوله وتركت هي الاخرى رسالة تقول فيها أنها تعاني وهي تبحث عن شخص قد ترك بدوره رسالة يقول فيها..."

وبناء على هذا تعمدتُ أن أقضي ما تبقى لي في قرية صغيرة وفي كوخ صغير لدى جدتي بقرب نهر أتأمل كيف تحولت الأشياء والأحوال من حولي، لعلني الآن أعيش دون أن أكتب رسالة تكون آخر كتاباتي».

فقصد 'إڤريل' القرية بأقصى سرعة ممكنة لكي ينقذها ويعترف لها إنه قد أحبها بصدق، إلا أنه عند وصوله اكتشف أنه قد تأخر كالبقية... ولم تتسنّ له الفرصة، بل ولم تتبق في مخيلته سوى ذكريات عنيدة وهو يتذكر كيف كانت تقف 'إڤانيس' على حافة النهر وتَدَعِي أنها انسان طبيعي وكأنها تقول حين تقف صامدة " سأترك وجع القلب وسأنكسر بعيدا حيث لا يراني أحد". انه الهروب من الواقع المرير أحيانا، هما قلبان: الأول قلب ينبض ببقايا الحجر والآخر ضعيف ينزف.

فاتجه 'إڤريل' مباشرة الى من أحبته واعتذر لها مادامت الفرصة أمامه قائمة لكي لا يقع في الخطأ الذي وقع فيه الآخرون، وقال لها مباشرة "سوف أحبك رغما عني". وأحبا بعضهما وعاشا في هناء ووئام بين الحقول وعلى جنبات النهر.. ووسط أناس طيبين وأجواء تغمرها الفرحة والسرور.

النيرفانا

عثمان الهاسوتة (المغرب)

"من كل زاوية من حولك تطّل الذئاب مرتدية لباسا من الأخلاق، الجلابيب البيض و التسبيح لا يفارق أيديهم. من وجوههم يتدلى شر ما، يشتم و يبصق في وجه كل مرتدّ شرارا يتلظّى بشُواظه..." لطالما ردد على مسامعي هذه الكلمات، يحذلق فيها كيف يشاء، فكنت أخشع لسماعها و أستسلم للأمر، و اليوم تأكدت أنه أصاب، و علمت أنه قائد قطيع الذئاب تلك.

لا أمل في نجاته هذه المرة، إنها النهاية. أمر من على كوخه كل مساء. وميض شمعتان خافت يضيء المكان. رغم ذلك، وجهه مازال يجتر آثار إبتسامة محنطة التقطت ربما من فرح قديم، أو ربما من نشوة أورغازم لا ينسى. أراقب جسده المشلول من على النافذة، و أردد في نفسي "شلل، موت، نيرفانا" فأركض مسرعا إلى البيت.

الشريف عبد السلام يرتشف من فنجانه بقلق بينما يمج لفافته، يضغط عليها بسبابته و إبهامه و هو يراقبني بنظرات متقطعة.

-"لن أتجرأ على القول أنه كان... بكل بساطة، لكن نظراته كانت توحي بشيء ما، بشرّ كان يسكن قراره."

أشعل لفافته و استدرك بالقول:

-"لدي نظريتي الخاصة تجاه حالته، هو من الحالات الخاصة التي..... صعب قولها، لكن سأخبركم بوجهة نظري.."

بدأ ينفخ في لفافته دون أن يخبرنا برأيه. تأمّل أبي وجهي للحظة و قال:

-"آسف لسماعك هذا بني... لكن صديقك غادرنا إلى دار البقاء"

-" من؟"

-" صديقك الفقيه.. علي.. الشريف عبد السلام أخبرنا لتوه"

إنصرفت من وجه أبي و تأملت حسائي، كنت أعلم أن نظراتهم تراقب حركاتي و سكناتي لكنني تجمّدت في مكاني كصخرة و كأن خبر موته لم تأثر في قراري.

" أليس أجدر به لو تركني و شأني، لن تحمله الزبانية إلى دار وقودها الناس و الحجارة و هو، لن تزعجه في نرفانته تلك. لن يحرم من حوض لا ظمأ بعده. حرّج على أن أكون.. يا إلهي! أصرّ على أن أحضر الكتّاب كل يوم، يطرد بقية الأطفال بعد تلاوات معدودات و ينفرد بي. أنا مدنّس و ملوث مثله تماما. لم أستطع أن أكون كما أراد في

البداية، فغضب. طلبت إستقالتي من ذلك الجحيم، فصفعني و دفعني إلى الخارج، و إذا بأبي في صباح اليوم التالي يعيدني إليه و ضرباته رصاص لا يرحم ينهال على رأسي."

-" الفقيه و أبني أصدقاء للغاية، لم يفارق بعضهم بعضا... رحمه المولى و أدخله فسيح جناته."

أراد أبي أن يتابع، لكنه بدأ يفكر للحظات. الشريف مولاي عبد السلام يصغي بكل حواسه، إلا أن صورا عدة مرت من بين عينيه فسورته بالخوف الفاجع. كان سيقول له أن يتابع حديثه، لكنه أشعل لفافة أخرى و حملق في للحظة و أردف:

-" لم أكن لأدع إبني مع شخص أكبر منه سنا، كعلي مثلا."

- سأله أبي بقلق: "ماذا تقصد يا الشريف"

-" أقصد، دع الأولاد يلعبون مع أقرانهم و يقضون وقتا معهم... علي رغم كبر سنه عزف عن الزواج.. تعرف.. هل أنا على حق؟"

تأمل أبي الحصير الذي نفترش و لم يرد على قول الشريف، تفاجئ من طريقة تأويله للأمور. أعاد بنظره تجاه الشريف عبد السلام و سأله: "أتريد قليلا من الحساء؟"

-" لا لا شكرا" أجابه، و أكمل وجهة نظره، "هو شيء خطير على طفل. الأطفال يمتلكون عقولا صغيرة يطبعون عليها تجارب طفولتهم. و عندما يكون.... تعرف... في صغره سيكون له تأثير سلبي على بقية حياته"

تنقلت ليلتها بين النوم و اليقظة طويلا. صور جمّة تتزاحم في رأسي و أنا مشتت بين الخوف و الرجاء. ربما نمت ساعتين أو أقل من الزّلف إلى الفجر. صور وجهه لا تفارق مخيلتي. أتخيله فينيقا و قد خطفني و رمى بي في رماده لكني لا احيى مرة أخرى، أو رصاصا جمّا و قد صفعني بجبهتي و صدري و أنا مرميٌّ بالشارع. رصاص يخترق جسدي، و ينفرّ الدم سخيا و أحمر قانيا و لا أموت. أرى آلافا من العيون، عيون أعرفها خلف بنادق لا تهدأ عن الجنون و هدفها الوحيد جسدي الساخن المرتجف.

إستيقظت في الفجر كعادتي. إعتمدت النهوض لأرى الطيور وهي تمزق بأصواتها سماء الصباح الفضية رابطة الغيوم بخط أسود بليل و متقطّع. أتحرك بيسر كأني غير مرئي، إنحناء و نهوضا مستمرين. يداي مفتوحتان في الظل للإمساك بشيء ما. عندها يبدأ التفكير بجدية الوقائع السابقة. استعيذ في ذاكرتي أقاويل الشريف عبد السلام الملغّزة. أرتجف. ألعن نفسي ألف مرة. ألبس جلباب البالي و أقصد كوخ المرحوم، أطل من النافذة كما دأبت على الفعل شهرا مضى. لا وميض، سكون تام. أصداء مبعثرة تنبعث من الكوخ. بنعوت عميقة تشتمني. تمزقني إربا إربا. أغضب، و تدرجيا أنسى

ليصبح وجع ما بين الساقين و أماكن أخرى لذة لابد أن أرتشف منها صباح مساء مع صديقي. لكنني اليوم أحس بحرية ما: أحسني حرا. أشياء تكبلني باتت اليوم من الماضي.

من نافذة كوخنا تناديني أمي، الآن وقد أشارت الساعة إلى الثامنة إلى ربع صباحا. ولجت إلى البيت و صاحت:

-"إرتدي جلباب العيد الأبيض المنقط بالأسود، سنزور عائلة الفقيه."

رددت في نفسي "صباح القبر"، لبست جلبابي بسرعة و لحقت بأمي. لم يكن بيت عائلة المرحوم يعج بالناس كما إعتقدت لوهلة. سألت أمي نسوة بجانب الباب و أجابوها أن الجميع ذهب ليزور قبر الفقيه و يحصد بعض الثواب.

إستقبلتنا أخت الفقيه الكبرى بتعب. لما رمقت أمي عانقتها و رأيت و أنا أداري خجلي كيف تهتز حنجرتها كقصبة هواء مذعورة. كانت جملة من العظام تخترقها روح متعبة بئيسة. مرميّ فوق حصير غرفة الضيوف، لا أرى إلاّ قبة الغرفة البالية و شبح الفقيه يراقبني من مكان ما. أصوات أمي تطرده مرارا و تشدني إلى الحياة بدعاء متواصل لروحه.

بعد برهة من الصمت، قالت أمي و قد إعتلى وجهها حمرة خفيفة:

-"إبكي، إبكي يا أختي، لا حل الآن إلا البكاء. تعبتم كثيرا قبيل موته!"

و هي تجهش بالبكاء، تردد الأخت:

-"مات، مات يا أختي و لم يتزوج حتّى...لم يترك لنا حتى خليفة له. أصبح مجنونا في آخر أيامه، ما هذه اللعنة التي حلّت به؟ يقوس رجليه بأحد أركان كوخه يضحك و يضحك. ذات يوم، وجده الفقيه دريس، شريف الشرفاء، و رمى عليه بسلهامه الأسود، فصمت أخي و لم ينبس بكلمة. علمنا عندها أن حله أن نبقيه في الظلام!"

-"و هل نجح الأمر يا أختي؟"

أجابت الأخت بصوت متقطع "لا لم ينجح، أصبح يومه ليلا و ليله نهارا. لم نذق طعم الرّقاد منذ أن حلت به تلك اللعنة: توقظنا أصوات ضحكاته و نحيبه كل ليلة، ثم يبدأ بعد ذلك بالحديث مع نفسه، و كأنه حوار مع ذاته أو ربما إعتراف لها"

-"رحمه المولى" تردد أمي.

تستدرك الأخت و كأنها نسيت أمرا مهما أن تقوله لأمي :"في إحدى الليالي جلست بجانبه، لم أستطع أن أردع نفسي من البكاء شفقة على حاله! بعد برهة ناداني باسمي مرة أو مرتين. إقتربت منه و أمسكت بيده فإذا به يشد على يدي بقوة و يقول: "الله يبتلي كل خطّاء....(يضحك بقوة) تنتظر كل منا حياة سعيدة هناك، لا تخافي... سنكون بأمان بحضن الله" ثم يضحك و يضحك..."

الزمن الضائع

حسن كريم (المغرب)

اليوم الثالث عشر من شهر أبريل, يوم بطعم الخيبة الذي يلي وصول خبر الرفض من دور النشر التي راسلها عواد. وصلت الرسالة في الظهيرة و لم يطلع على محتواها حتى غروب شمس ذلك اليوم.

دخل مكتبته مهزوما، علق معطفه الرمادي على المشجب الوحيد قرب المنضدة و جلس على كرسي جلدي اسود.عبأ رئتيه بالهواء ثم زفر بقوة كأنه يضع من على كتفيه ثقلا لازمه منذ زمن. شبك أصابع يديه خلف رأسه ثم بدأ يتأمل جدران الغرفة الصامتة . في زاوية من زوايا الغرفة الكئيبة وقعت عيناه على نسيج عنكبوت بداخله ذبابة تصارع من أجل البقاء بعد أن شل العنكبوت حركتها بخيوطه الحريرية اللامعة .

ساد صمت رهيب يكسر من حدته أزيز الذبابة المتقطع من حين لآخرفي محاولة أخيرة للنجاة من المصير الحتمي الذي ينتظرها,استسلمت أخيرا لتصبح غذاء سهلا للمفترس الذي لايسمع له صوت في الغرفة، تفاعل مع المشهد التراجيدي وفي لحظة تماهي صرخ عاليا "لن أكون ذبابة...لن أكون ذبابة" . التفت يمينا ثم شمالا في ذهول...إذا بهاتفه يرن مخلفا ذعرا في نفسه المرهقة، أحس بقشعريرة تسري بين اطرافه. ألقى نظرة على شاشة هاتفه قبل أن يجيب ، إنه صديقه إدوارد.

- ألوو..مرحبا إدوارد. كيف الحال؟

- يا هلا حبيبي عواد. وينك؟ أنا في انتظارك بالمقهى .

- طيب.. لحظات سأكون هناك...

ربما أراد مرافقته إلى مطعم من مطاعم المدينة القديمة لتناول العشاء و التسكع في الأزقة المتكدسة بالمارة و الباعة و المتشردين، كما هي العادة عندما يحل إدوارد ضيفا عليه.هكذا خمن عواد مستسلما لنوبة تأمل من جديد، اقتحمت خلالها ذاكرته حكايات من التاريخ القريب كان جده يسردها امامه بكل انفعال و في لحظة تخيل الرؤوس المقطوعة معلقة بباب المدينة يغطيها الذباب بعد أن مثل السلطان بأهلها ليدفعوا الضرائب و هم صاغرون... لسبب ما تذكرالمثل الدارج الذي يقول: "إلى بغيتي تسرق سرق جمل، و إلى بغيتي تصاحب صاحب شريف" . فجده كان يطبق المثل بحذافيره في شقه الأول فقط، أما أصحابه فكان يختارهم من الأجانب وخصوصا الانجليز الذين أدخلوه في حمايتهم بعد أن أشركهم في تجارته بنسبة الثلث من الأرباح فانتفعوا هم بنصيب من تجارة بدون جهد , و

انتفع هو بالهروب من جور ضرائب الحكومة الشريفية و من تجنيد أبنائه في جيش يقطع رؤوس الأهالي من أجل المكوس.

لم يظهر عواد رغبة في التجارة كباقي إخوته الثلاث. بل أغرته الكتب منذ طفولته المبكرة فتابع دراسته ليلج مهنة الأخطار...

ارتدى معطفه و نظارته الطبية و خرج مسرعا ليبتلعه شارع المدينة في لحظات قليلة، وصل إلى المقهى حيث ينتظره إدوارد. تصافحا بحرارة ثم جلسا. أخرج إدوارد علبة السجائر من جيب بذلته الأيسر، أشعل واحدة فطفقا يتجاذبان أطراف الحديث...

حدثه إدوارد عن رحلته الأخيرة إلى مدينة الضباب و أسرف في سرد مغامراته. فقد قضى أسبوعا يطوف على الحانات و يتسكع في الشوارع مطاردا بائعات الهوى ... فهو منذ أن فقد عائلته في اجتياح لبنان فقد معه إيمانه بالخلاص على هذه الأرض. هو الذي خبر الآلام منذ زمن بعيد ,قرر في لحظة ما إن ينغمس في لذات الجسد.. كان يقول في نفسه مقتنعا "إذا كان يسوع المسيح قد تألم و مات على عمود الآلام خلاصا للبشر. فهل عزاؤنا هو الإيمان إذا كان الألم يتربص بنا في كل محطة من محطات حياتنا المثقلة بالهزائم؟

أبدى عواد الإعجاب تارة و الاستغراب تارة اخرى من حكي إدوارد الذي أنهى كلامه بسؤال- و أنت يا عواد ماهي أخبارك؟

حدثه عواد عن الوضع محاولا الايجاز لانه يدرك ان صديقه لم ينته بعد من افراغ ما في جعبته ,الا انه لم يستطع ان يخفي مابداخله فاخبره بفحوى الرسالة الاخيرة التي تلقاها من دار النشرو ان لجنة الرقابة رفضت نشر الكتاب الذي أخذ خمس سنوات من عمره لأسباب احتفظت بها الدار لنفسها. فقد اعتاد في رسائل الرفض التي وصلته عبارات من قبيل: "فحوى الكتاب قد يضر بأخلاق المجتمع" أو "مضمون الكتاب قد يجر على دار النشر متابعات قضائية " و غيرها من المبررات التي تثير من السخرية أكثر مما تثيره من التبرير المعقول .

لما رأى إدوارد ما بلغه عواد من يأس و إحباط، اقترح من باب التفاعل مع مأساة صديقه، أن يأخذ مخطوط الكتاب إلى فرنسا حيث يقيم. هناك حيث يعمل كصحافي لمدة ليست باليسيرة يستطيع أن ينشر ما شاء و متى شاء. استقبل عواد الفكرة بابتسامة تشوبها حيرة و فرحة مكتومة , و استغرب في قرارة نفسه كيف ان فكرة كهذه لم تتبادر الى ذهنه من قبل؟

تقاطرت الأسئلة إلى مخيلته مرافقة فرحته... وأخيرا ستجد أفكاره طريقها إلى القارئ دون رسائل رفض و دون بتر أو تعديل..ابتسم ملء فيه و ردد و هو يفكر بصوت عال : "بالأمس كان أجدادنا يحتمون بالأجانب من جور جباة المكوس، واليوم لم يتغير الوضع كثيرا، فنحن في حاجة إلى الحماية من مصادري الأفكار و قراصنة الأحلام.."

عاد عواد إلى غرفته يغمره شعور بالحيرة والخوف الذي لا يغادره منذ أمد بعيد. خوف من الانتظار والترقب في وطن يعذب أبناءه بالتأجيل. وما إن استرخى على سريره ذو الشراشف البنفسجية اللون حتى استسلم للنوم ولم تؤرق مضجعه تلك الكوابيس التي تزوره من وقت إلى آخر ...

في تلك الليلة تلقى إدوارد- و كان برفقته إحدى بائعات الهوى صادفها في الحانة- اتصالا من مواطنه الذي يشاركه السكن في مدينة بريست الفرنسية وأبلغه أن قاضي المدينة أصدر في حقه مذكرة بحث، وأنه استفسر أكثر، فاخبرته السلطات أن شابة فرنسية في العشرين من عمرها تقدمت ضد صديقه بشكاية تحرش... و أن العقوبة قد تكون الترحيل من الأراضي الفرنسية ...

احتار إدوارد بعد تلقي الخبر ، هل يعود إلى فرنسا و يقدم نفسه أمام القاضي، وبعد ذلك يبحث عن تسوية بينه و بين" الضحية"، كما فعل في مرة سابقة حيث دفع اكثر من تسع مئة يورو للمشتكية. أم ينسى أمر العودة إلى بلاد سيمون دوبوفوار بالمرة. خصوصا أنه لا يعرف شيئا عن دوافع المدعية الجديدة و إن كانت ستقنع بتسوية مالية أم لا.فالمدعية قد تكون شاركته السرير في إحدى الليالي الباردة و تعرف أسراره و قد تكون شخصا آخر فهو لم يعد يتذكر بالضبط و قد يكون فعلا عاكس إحداهن وهو مخمور .

كان اللقاء الأخير بين عواد و ادوارد في قاعة الانتظار بمطار المدينة. دام نصف ساعة من الزمن ساد خلاله الصمت و الترقب.كان جل مادار بينهما :

- متى ستعود يا إدوارد؟

- عما قريب ..لن أتأخر.

- سنلتقي مرة اخرى..أكيد.

- لا أعرف . ربما..

فهم عواد الكثير مما بدا على ملامح صديقه من ارتباك. لكنه لم يحرز السبب الرئيسي وراء سفره المفاجئ ,فاحتفظ لنفسه بالتأويل كما احتفظ بأسئلة كثيرة تتلاطم في مخيلته.

قال ادوارد بعد لحظة صمت :

- سأبعث بالمخطوط الى صديقي بفرنسا، هو سيتولى اجراءات النشر.

رد عواد بثلاث كلمات :

- طيب . أنا انتظر.

ودع أحدهما الأخر بابتسامة تحمل من الحسرة أكثر مما تحمله من المجاملة .

عاد إدوارد إلى وطنه ممزقا و بقي عواد ينتظر و ينتظر...

المشهد الأخير في حياة جدي يوسف

أحمد إدريس أحمد (مصر)

لا أبالي إذا مت اليوم أو بعد غد، فالموت هو الموت

يقطع الغرفة جيئة وذهابا، يُحملق في سطحها ويصرخ في ابنته، أريد طعامي بسرعة؛ فليس هُناك وقت، ذلك القطار يا بُنيتي لا ينتظر ركابه؛ وإن تأخروا عنه ولو لحظة واحدة، ينتزعهم انتزاعا.

نعيش في هذا العالم في أوقات كثيرة بلا ملمح من ملامح الحياة، وعندما نُدرك أن الوضع يحتاج إلى دُعامة؛ نجد أن تلك الدعامات لا تكفي لتقويم كل الانكسارات التي خلفها البشر في جدار روحك؛ كذلك يكون الوقت مرَّ، والسنون التي كُنا نجمح فيها؛ أصبحت لا تُبالي بعظامنا النخرة.

يتململ في جلسته، يُطالع مكتبته العامرة بالكتب ويحزن؛ لأنه لم يُطالع كُل الكُتب الموضوعة على الرفوف، تلك الكُتب التي أصابها الإهمال، وأضحت غريبة عنه، وهو أصبح غريبا عنها.

عندما يتناول كتابا، يُحس بالضيق، يفتح درج مكتبه، يجد كتاباته التي لم يُنهها، والكتابات المكتملة، قابعة في مكان واحد؛ لم يُنشر ولا حرف له؛ ربما لم يفعل ذلك؛ لأنه كان يخاف من ردة فعل العالم من حوله.

يفتحُ صندوق ذكرياته فيجد خطاباته لحبيبته الأولى، التي استردها بعد أن تركته وتزوجت بآخر، خطاباتها إليه وصورتها، وخصلة من شعرها، مازال يحتفظ بِكُل ذلك.

يحفظ كُل كلمة عن ظهر قلب؛ فقد سهر الكثير من الليالي وهو يُدقق في اختيار الألفاظ، وفي كتابة قصائد جميلة، تجعلها تعشقه أكثر، تجعله يتداخل في أنسجة روحها.

كم تمنى أن يُحادثها الآن مثلما كان يفعل معها في الزمن السابق، وكم تمنى أن يضمها إلى صدره ولو ضمة أخيرة، تجعله ينسى سنوات عمره. ولكنها الآن تجلس وحيدة في فناء الدار، وحولها الأحفاد، تقص لهم القصص، وتخبرهم عن بعيد أحبته؛ ولكنه رحل. الكُل في علاقة الحُب المُنتهية، يُلقي باللوم على الآخر؛ ولكن إذا نظر الاثنين، للمواقف التي مرت، سيفهما أنهما السبب في نهاية علاقة جميلة.

يتذكر ألم المفاصل، والضغط والسكر؛ يتحرك بصعوبة، ويمسك بأدوية أمراضه، ويتناولها واحدا تلو الآخر، ومن كثرتها، يكاد ينسى كُل الأمراض التي يُعانيها.

يَنظُر إلى نياشينه التي على الحائط؛ فيتذكر كُل لحظة قضاها في عمله، الذي لم يرغب في أن يكون فيه يوما؛ فكم تمنى أن يكون ممثلا، أو عازفا في أوركسترا؛ لكنه عاش حياة رتيبة، مثل الغالبية العُظمى من رجال العالم.

تصل ابنته بغذائه، المكون من رغيفين وأقراص من الطعمية، وحزمة من الجرجير.

تُخبره هل تُريد شيئا آخر يا أبي؟ يطلب منها سيجارة، وكوبا من الشاي. ولكنها تخبره، بأنه ممنوع عليه ذلك؛ فالطبيب أوصى بسيجارة واحدة في اليوم، وهذه السيجارة ستكون الثانية.

ومع محايلة، وصراخ، تستجيب ابنته لمطلبه.

يتناول جدي يوسف، غذائه بشراهة واستمتاع غير مُعتادين، ويتجاذب مع ذاكرته أطراف الحديث، يقص لها وتقص له، يضحك تارة، ويبكي تارة أخرى. وعندما ينتهي من طعامه، يصرخ على ابنته، أين سيجارتي؟ تستجيب له مُسرعة، وتنظر مرة له ومرة لطعامه المُنتهي، فتضحك، وتقول له: بأنك ليس بك بأس، فالرجل الذي يُجهز على رغيفين من العيش الصعيدي، ليس به بأس.

تُشعل سيجارته، وترحل...يسحب منها نفسا تلو الآخر باستمتاع، ويرتشف من كوب الشاي مع الأنفاس، يتصاعد الدُخان في الغرفة، فيُحس بالنشوة والانتصار.

يصرخ صرختين، ويُلقي بجسده على السرير النحاسي، تسمعه ابنته، فتهلع؛ تصرخ

أبي .... أبي لا تفهم ماذا حدث؟!، فأبيها كان يبتسم مُنذُ دقائق.

تصرخ، يسمع أخيها الأكبر صوتها، يقترب من أبيه ويُخبرها بأنه انتهى.

يخرج جدي يوسف، من جسده، ينظر إلي جسده المُسجى وأولاده من حوله. ينظر إلى نعشه، وجنازته المهيبة التي استمرت أسبوعا وأكثر.

كُل ذلك لم يُحرك ساكنا في روح جدي يوسف؛ ولكن الشيء الذي جعله يُحس بأنه نال حريته؛ أنه أصبح كائنا أكثر خفة، يستطيع أن ينظر لحبيبته من السماء، ويأخذها في حُضنه كلما أراد ذلك. الرؤية تتحقق عندما نموت

مَــمَرُّ الْعَـــوْدَةِ

ســوار غـــابري

تَضعُ يدها على كتفي برقّة: "صِرت رجلاً الآن. ستذهبُ للقلاع. سوف يُعلمكَ الشرف. ستجده بانتظارك فوق كرسيه المتحرك. أتفهم هذا يا صغيري؟" تهمسُ في أذُني.

كنتُ في تمام السابعة عشر حين أخبرتني أمي بكلّ شيء. كان ذلك بعد أن استولى الحداثيون على زمام السلطة وتمركزوا في القلاع. وبعد ربع قرن من تقطيع للحم وغربلة للجثث، أُشيعَ عن تواجد كلاسيكيّون يتحصنون بالمقاهي والبارات. مات أبي على يدهم وكانت أمي شاهدة على مجزرته.

حوالي الرابعة ظهرًا حين صعدتُ الميترو باتّجاه القلاع ذاك اليوم. _لا تسخروا_ إنّها الطريقة الوحيدةُ للوصول هناك. أتخذ لي مقعدا منعزلا. أطبقُ تعليمات أُمي. لا أكلمُ أحد. لا ألفتُ أنظار أحد بتقطيب حاجبيّ أو سعالي. لذلك لا أحد يرمقني متشككا. صرتُ رجلا الآن.

كان الميترو يسير بطيئا بشكل مزعج. ومن خلف الزجاج كانت طائرات المجرّة 24 تتقافزُ وعيون جنود القلاع تتراكضُ كأنها تطاردُ شيئا ما. أنظر إلى ساعتي المائية، أفكر في صاحب الكرسي المتحرك. أغفو.

حين انزلني السائق كانت الشّمسُ قد غابت. وجدت نفسي تحت ماتبقى من أقواس "***باب الخضراء***" الغارقة في الظلام، مشيتُ في ذلك الدرب الذّي يشبه جرحًا يتفتّقُ أقتفي أثرَ خطوط الميترو متذكرا إرشادات أمي. الآن أنا هنا. هاهي القلاع تظهر قبالتي: صومعة مقصوفة، بوابة خشبية ضخمة وأحرفٌ عربية قديمة منقوشة باللّون الأخضر فوق رخام رماديّ: "**جامعُ الْفتح**".

هممّتُ بالدخول لولا أنّ رأيت كرسيّا متحركا يزحف كسحلية خارجًا. هل هو صاحب الشرف؟ لم أستطع رؤيته. استدارَ بسرعةٍ. ناديتهُ. لم يلتفت. تبعتهُ. وجدت نفسي بعد بضع دقائق أمام أشجار كثيفة أين توارى وتلّة شاهقة من الأكياس الرملية تحجبُ بوابة خشبية بهتت أحرفها جرّاء الرطوبة. قادتني دروس أمي من تهجئة الكتابة عليها بصعوبة "***مق..زخا..المدينة***". لكم أن تتخيلوا المشهد. أنا مذهولا والبوابة تنفتح أمامي. صدقوني لم أقل أبرا كدابرا. لم أستحضر عليا ولا بابا. وهكذا فتاة بشعر ليمونيّ تظهرُ أمامي فجأة:

"إنّك ترتجف. خوفا أم بردا؟" لم أرد."هل هو مجيئك الأول؟". أومىء برأسي مؤكدًا.

"أنت متلهف إذن؟"..."لا."

"هل تود أن تروي عليّ سرّ مجيئك؟"

ترددتُ قليلا ثم فرّت الكلمات من بين شفتيّ: "جئت لرؤيته."

مدّت يدها مصافحة: "أدعى القصيدة بإمكانك مناداتي بالشعر. لا مانع لي من خفض الكلفة بيننا."

وكأيّ حداثيّ يتعثرُ بالشعر لأول مرة في حياته كادَ الخجلُ يحرقُ خدّي. ابتسمت ودعتني إلى الدخول. لحقتُ بها إلى أن أوصلتني إلى دوامة من ممرات.

"هل أنت مندهش؟ أذكر أنّي تهت في الممرّات حين إقتادتني قدماي أول مرة إلى هنا. يشاعُ أن الزخارف كانت أقل مساحة من الآن. تمّت توسعتها على حساب المهجع الجامعي ومطعم ذي كويين.".

"الكلمات المنقوشة على البوابة زخارف إذن."

"أستسمحك عذرا؟" قالت.

"ها؟ لا.. لا شيء .. أقصد ماذاك الصحن الكبير هناك؟"

"ماتبقى من مقر الإذاعة. الحداثيون قصفوه قبل ثلاثين سنة ألا تعلم؟"

"الحداثيون؟ مالها لاتستعملُ ضمير نحن؟" قلت في سري.

"علينا أن نمر بالمقصورة لنصل إليه." قالت.

بدت المقصورة هذه كخندق تفوح منه رائحة التفاح المنبعثة من الأرجيلة، تتوسطه ثريّة تنسكبُ منها لآلىء ضوء رخوة تدفىء كلّ أركانه وقد حادت القهوة عن الرائحة المألوفة. دوائر من دخان الغليوم تتقافزُ، فناجين قطّر فيها الزهرُ تنفث البخار. تقدمت وأنا ألمس الجدران. تحسست الأعمدة. تناهى إلى مسامعي صوت مواء. طردت الصوت. لقد اندثرت القططُ منذ ربع قرن. ظهرت قبالتي تماثيل من طين، تلفزيون أسود مسطح، أدراج خشبية، آلات كاتبة، دوامة من الرفوف العالية المكتظة بالكتب، وأناس معتكفة على كراسيّ خشبية مزوّقة وأخرى بلاستيكية بلون البرتقال. التفت بعضهم اليّ لإلقاء التحية. تهامز آخرون. نظرت إليهم وقد ادلهمّت فوق رأسي سحابات من دهشة: الهي إنهم يتأبطون كتبا. أنّي بين جماعة سريّة من الكلاسيكين يتآمرُون لإسقاط الحداثة. كدتُ أتغوطُ ذعرا من الداخل.

"إنه هناك." أشارت إلى الباحة وافترقت نظراتنا في الممر.

حين صرت في حضرته لم يعر أي انتباه لقدومي. تظاهر بإعطاء لبّ الخبز للطيور. هذا هو شيخ القلاع الذّي أشاعت الأقاويل بأنّه صاحب الشرف إذن. ماذا يفعلُ هنا؟ ألقيتُ التحية. ظل صامتا. فهمت من هزّة رأسه الخفيفة بأنّه يأمرني ببداية الحديث.

"أرسلتني أمّي".

أحجمَ برهة عن الردّ ثم تفحصني بنظراته قائلا: "وما الذّي شرّفنا بمجيئك؟"

"الشرفُ". قلتُ.

تقدّمَ بكرسيه مقدار خطوتين وجلدني بعينيه: "اسمع مني ياهذا لا وقت لي كي أهدره مع أمثالك. في امكانك أن تختار لنفسك شيئا آخر تتلهّى به غير هذه الأحاديث السمجة."

حاولتُ أن أظهر شجاعتي رغم الرعب الذّي أصابني وواصلتُ: "حدثتني أمي عن الخلخلة والإنشطار، عن المعاول والهدم، عن الحكايا كيف تتناسلُ ومعنى أن تخلط الشعر بالنثر والنثر بالشعر. علمتني أنّ الحقيقة هي الإبن المدلل للخيال وأنّ الكتابة اقتدارٌ على الكذب، حملقة في البياض وإعمالا للمحو. حدثتني عن كلّ ما دافع عنه أبي وكان سببًا في تصفيته. وقالت أنّك الوحيد القادر على تعليمي الشرف."

"لستُ متأكدًا من أنّي فهمتُ قصدك".

"بل فهمتَه جيدًا". قلتُ مهدِدًا. "أعرف من تكون. كان من المفترض أن ألاقيك هناك. وبدل من ذلك أنت هنا مع كمشة من متحذلقي الكلاسيكيّة. لا تنكر. رأيت ظلّ كرسيّك المتحرك وهو يزحف إلى هنا خارجًا من القلاع. لقد تبعتك."

"فليسلم عرفك". قال. ثم سحبني من أذني إلى خارج الباحة ماسحًا بيديه العرق النّاز من تجاعيده.

كانت نسائم الفجر تُلقي الثلج على زُجاج النّافذة، حين عدت إلى بيتنا في المجرّة 24. مَرّرتُ بَصْمَتِي على الباب بهدوء وانزلقتُ. وجدتُ أمي منحنيةً فوق الأريكةِ. انتفضتْ، قَبّلتني. قبّلتْ جَبيني ووَجنتي. وحَضَنَتني كأنّها تَراني لأولِ مرّةٍ.

"كدتُ أتجمد خوفًا. كيفَ كان لقاؤكَ مع صَاحب الشرف؟ "

ارتميتُ على أولِ مقعدٍ: "لم يقم بشيء سِوى عدمِ الإكتراثِ لِحُضوري."

صَمتت قليلا ثمّ عَاودتني بالسؤال :"والقلاعُ ؟"

"حسنًا. ليس كما تتوقعينَ. كانت أشبه بخرابةِ تخيفُ الأطفالَ. كُتبَ أعلاهَا بعربيةٍ قديمةٍ ***جَامعُ الْفتح***".

صرتُ رجلاً الآن. أكتبُ هذا والقطةُ تموءُ تَحتي _ لا تتعجبوا_ تَبعتني فلم أجد ضيرًا من أخذها. أكتبُ وأنا أذكرُ ***ممرَّ الْعودَة*** في مقهى ***زخارف المدينة***، سرّي الذي لم أبح به لأحد. أين افترقت نظراتنا لآخر مرة...وأين لثمت خدي هامسة ***"الأسلوب هو شرف الكاتب"***.

تازيري

يونس شفيق (المغرب)

كنتُ أستاذها الّذي درّسها في المستوى السّادس ابتدائي، في تلك القرية الجبلية السّحيقة حيث الأعراف هي القانون السّائد البائد الوحيد، والتّقاليد هي السّلطة العليا التي تخضع لها القبيلة دون حدّ أدنى من التّفكير في خلل ورِجعية بعضها، والويل كلّ الويل لمن يفكّر في التّمرّد عليها. تازيري فتاة قروية آسرة كالقمر، اسم على مسمّى. تحلّ الأولى في صفّها كلّ سنة، اجتازت الشّهادة الابتدائية، اليوم، بتفوّق ساحق على صعيد المجموعة المدرسيّة. جميع مُعلّميها يُشيدون بأخلاقها وينوّهون بذكائها الخارق، ويتنبّؤون لها بمستقبل ناجح، يسرّ الناظرين، إن واصلتْ دراستها.

كانت تازيري تلميذة ألمعيّة الذّهن بحقّ، خارقةَ البديهة، مجتهدةً وطموحةً جدّا، تحلم أن تصير طبيبةً لتداوي مرضى قريتها النّائية. كنتُ أشجّعها بكثير من الحبّ، لأنّ حلْمها كان مشروعا وهي أهل له. لكن نسينا جميعا، في غمرة الانتشاء بهذا الحلم المُسْكر، أنّ الفتاة في قريتها ليس لها الحقّ في أحلام كبيرة كهذه. لها الحقّ في أن تحلم بزوج وأولاد فقط، أمّا بشهادة عليا ووظيفة محترمة فهذا أقرب إلى المستحيل منه إلى الحقيقة.

غادر الذّكور، مغمورِين بالفرح، القرية لِيُكملوا دراستهم الإعدادية، بينما تخلّفت تازيري كَرها لا طوعا، هي وصُويحباتُها اللواتي نجحن في الامتحان. ليس هذا فقط، بل مُنعت حتّى من اللعب وألبسوها لباس العجائز وهي طفلة مازالت لم تشبع رغبتها في اللعب. العريس آت هذا المساء ليغتصب طفلة باسم الزواج. رفضت، ناحت، تمرّدت وخضعت في النّهاية لأعراف بليدةٍ وتقاليدَ ظالمةٍ.

زُفّت العروس، ذات الثلاثة عشر ربيعا، لابْنِ كَبير القرية الذي لا تُردّ له كلمة، يُطاع ويُسمع وتنحني له القامات مقبّلة يده باحترام وخشوع شديدين. كنتُ أحترق من الدّاخل وأنا أرى بنتا من بناتي تُغتصب بمباركة الجميع، الكلّ يستبيح دمها، وعلى إيقاع أحواش تُذبح الضّحيّة وتعلو الزّغاريد. جهلٌ موغل في الزّمان والمكان، وأنا المعلّم لا سلطة لي، نبّهتها وأهلها فاتّهِمْتُ بالتّحريض، خطبت في النّاس وقلت أنّ ما يفعلونه ببناتهم ما أنزل الله به من سلطان، فكنتُ كمن يكلّم حيطانا بشرية، صمّ بكم، لا يسمعون ولا يعقلون.

لماذا يا حسرتاه نتخلّص من فلِذات الكبد؟! نزوّجهنّ.. نبيعهنّ طازجات قبل أن ينضجن حتّى، وكأنّهنّ ثقل على الأكتاف، كأنّهنّ عبء منذ الولادة. خسئتم أيّها الغرقى في بحر الجهل حتى تستيقظوا من سباتكم العميق، وترسو سفنكم على شطّ اليقين بفظاعة الجرائم التي ترتكبونها كلّ صيف في حقّ بناتكم.

تازيري ذات الملامح البدويّة البريئة، أبصرتها هذه الأيام، حيث موسم الثّلوج على الأبواب، آتية من الغابة، رفقة جاراتها، تحمل على ظهرها رزمة حطب جعلت ظهرها مقوسا كعجوز في خريف العمر. بطنها منتفخ جدّا، يمكن ملاحظة ذلك بسهولة، ووجهها رُسمت عليه تجاعيدُ سَرقت براءتها، وصارت فجأة بملامح امرأة في سنّ الأربعين تعاني كآبة حادّة.

لا أستطيع أن أتحمّل المشهد أبدا. دَمْع عفويّ يتساقط على خدّيّ. حزن قاتم يخيّم على ليالي كلّما تكرّر المشهد وتذكّرتُ الطّفلةَ المغتصبةَ الحُبلى. لا أعتقد أنّ هذه القرى تعيش القرنَ الواحد والعشرين، تحتاج لعقود كثيرة حتى تتخلّص من جهلها وبدائيتها، ربّما عندما يصبح تلامذتي أجداد القرية، عندما يرقد الأجداد والآباء الحاليون بسلام في قبورهم، حينها فقط يمكن أن نحلم بفكر آخرَ في هذه القرية.

هذا المساء مخاضُ الطّفلة، وَضْعها حرج جدا، لكن لا طريق تَصِلُ قريتها بالمدينة، لا سيّارات يُسمع أزيزها هنا، فقط مسالك البغال الوعرة. جاءت إيزة قابلة القرية، التي كانت لها يد في ميلاد الطّفلة بالأمس القريب، لترى في أمرها. إيزة هي طبيبة القرية المحنّكة، هي مولّدة نسائها. ما إن كشفت عليها وهي الخبيرة المجرّبة، حتى ولولت وصرّحت بخطورة حالتها وأنّ الأمر يستحيل بولادة عادية. لابدّ من مستشفى ومن عمليّة قيصرية، لابدّ من استعمال المشرط لإخراج الْجَنِين وإنقاذ الأم. حملوها، يا ويلي، على بغل في منتصف الليل يريدون أخذها للمستشفى، والوصول إلى المستشفى يحتاج الليل كلّه. ما هذا القدر يا تازيري! ما هذه المصائب يا طفلتي!

رافقها موكب بغال وحمير يليق بِحَمِيهَا زعيم القرية. لكنّ الطّفلة الصّغيرة لم تتحمّل ألم المخاض. توقّف نحيبها وصراخها وتوقّف نبضها، ونزيف دمها، شاهد على الجريمة التي ارتكبت في حقّها. أيّ الكلماتِ أنتقي لأرثيك؟ أيّ القصائدِ تشفي جرحي؟ اغتصبوا طفولتك، وجعلوك تحبَلين قبل الأوان، وقتلوك في الغابة ليلا وعادوا أدراجهم غير نادمين. وقالوا: قضاء وقدر. وبعد أسبوع فقط احتفلوا بزفاف طفلة أخرى تخرّجت للتّو من قسمي.

الفهرس

تمهيد 4

القائمة القصيرة الممتازة:..... 8

صنف القصيدة الفصيحة: 8

سلالةٌ أنجبها الوقت..... 9

لسمائه الأخرى يعود..... 12

تلاواتٌ من لوحِ الأرض..... 14

ترنيمة صباحية لدون كيشوته 18

الزعتر الأخير..... 20

صورة أخرى للماء..... 22

الشاعر 25

مواويلٌ للرّاحلين..... 27

أَرِح ركابَك..... 31

يم بملح الموج..... 33

عَن شَعبِ الحَجَرِ الأَسعَد 36

النّاطُورْ..... 40

مراودة الليل 42

حين يتسرب القمر..... 44

صنف القصة القصيرة..... 45

رمس سُهاد..... 46

أحببت ملحدا..... 51

عيون تحترف الوجع.....59
صهيلُ المُعاناة.....61
أوّل يومٍ في السَّكْويلَة 63
اغتصاب.....66
مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ فِي هَذَا العَالَمِ 69
-خمس محاولات للرقم 500 73
السوط الناعم 76
الكابوس 80
حلم الشقراء.....84
طعام الأثيم.....86
قصة حب بين رسالتين 89
النيرفانا.....93
الزمن الضائع.....96
المشهد الأخير في حياة جدي يوسف.....100
مـَمرُّ الْعـــَودَةِ.....102
تازيري.....105